

قافلة الزيت
ربيع الثاني ١٣٩٥ - ابريل - مايو ١٩٧٥
المملكة العربية السعودية
الرياض
مؤتمر رسالة الجامعة
ترابط بين الجامعة والمجتمع
وخطوة نحو جامعات



يوجد الفحم في بعض المناطق قريبًا من السطح مما يجعل أمر الحصول عليه أسهل منالًا وأقل كلفةً.

راجع مقال « الفحم الحجري والحضارة الانسانية »

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الرابع المجلد الثالث والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام : فيصل محمد البسام — المدير المسؤول : عبدالله صالح جمعة

رئيس التحرير : منصور مدني — المحرر المساعد : عوني أبوكشك

محتويات العدد







بحوث أدبية

بحوث علمية







إستطلاعات مصورة







التعليق على صورة الغلاف

معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير المعارف ورئيس الأعلى للجامعات في حفل اختتام مؤتمر رسالة الجامعة ، ويبدو الى يمين معاليه الدكتور محمود صفر ، عميد شؤون الطلبة لجامعة الرياض ، والدكتور محمد حمد الأقندي ، مقرر اللجنة ، والى يسار معاليه الدكتور محمد أحمد الرشيد ، وكيل كلية التربية ورئيس لجنة المؤتمر .

راجع مقال : « مؤتمر رسالة الجامعة »

شركة مطابع المطوع – الدمام
AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAN



٢

النقد الذاتي ترجمة حرفيه للتعبير الأعجمي « Auto-Critique » وهذا التعبير منحوت من لفظين : اولهما Auto وهو لاتيني معناه : « من تلقاء نفسه » ، وثانيهما Critique وتعني : النقد وأصله يوناني ، ويعني : الحكم . وحاصل الجمع بين اللفظين من الناحية اللغوية : ان تحكم على نفسك ، من غير ان يطلب ذلك منك احد من الناس . ومن ناحية الاصطلاح : الكشف عن عيوب نفسك بنفسك ، ومعرفة اسبابها ، وتقويم معوجها .

• وقبل ان نتحدث عن المفهوم السياسي المعاصر لهذا التعبير نشير الى ان رائحة العجمة تفوح منه ، لأنه لا يجري على اساليب العرب . ولو كان لي ان اقترح تعبيراً عربياً خالصاً صافياً لقلت « محاسبة النفس » . ويكفي ان يرد هذا التعبير في القرآن الكريم لتتضح لك عروبته الأصيلة : **« اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »** (١)

وبعد ، فما هو تاريخ النقد الذاتي في الأنظمة السياسية المعاصرة ، وماهي اسباب وضعه ؟

وضع هذا التعبير في الدول الذي يقوم نظامها السياسي على الحزب الواحد ، أي أن المعارضة فيها لا وجود لها ، لا بل هي ممنوعة . وقد عاشت هذه الدول في ظل هذا التنظيم حيناً من الدهر ، تقرر وتنفذ ، من غير ان يكون لها ناقد او معارض . فلما اكتشفت اخطاءها في التطبيق ، في كثير من مرافق الدولة ، أو فيها كلها ، الداخلية منها والخارجية ، دعتها وطنيتها ، واخلاصها لامتها ان تضع طريقة لنقد ما كان ، وبيان عيوبه ، وتلافي نتائجه ان أمكن ، فابتدعت طريقة « النقد الذاتي » ، لأنها لا تسمح لمعارضة ما ، ببحث هذه العيوب وبيانها ونقدها . بمعنى أن يجتمع الحاكمون انفسهم ، وفقاً لترتيباتهم السياسية (مجالس لجان ، خبراء — ويشترط ان يكونوا من أعضاء الحزب نفسه) وان ينقدوا انفسهم بأنفسهم .

على انه من الانصاف ان نقول ان النقد الذاتي بمفهومه السياسي الذي اوضحناه ، وجد أيضاً في النظام البرلماني الدستوري الانتخابي بحيث يجتمع الحزب الحاكم ، ويناقش سياسته الداخلية والخارجية ، ويفترض ما يمكن ان تواجهه به المعارضة ، ويُعد العدة للرد عليها . وهو هنا كما ترى عمل اختياري داخلي ، وليس الأسلوب الوحيد ، الذي سنته الدولة لمراقبة أعمالها .

وقد وقفت الشريعة الاسلامية ، في النصوص وفي التاريخ ، من محاسبة النفس — او النقد الذاتي — موقفها من المعارضة ، فألزمت الحكام بها ، وأوجبت عليهم عرض اعمالهم على أنفسهم . كما أوجبت عليهم عرضها على الناس واذا كان النقد الذاتي اختيارياً في النظام الدستوري البرلماني فانه الزامي في الشريعة الاسلامية .

في النصوص

وردت في القرآن الكريم نصوص كثيرة تأمر بمحاسبة النفس ، منها :

١ — قوله تعالى : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »** (٢) وكيف يمكن ان يغير المرء ما بنفسه ان لم يحاسبها ، ويستعرض ما فعلت ، وما اتت من خير ،

(١) ١٧ — الاسراء — ١٣ . (٢) ١٣ — الرعد — ١٢ . (٣) محاسن التأويل — ١٠/٣٦٥٧ .

بقلم: الأستاذ ظافر القاسمي

وما اجترحت من شر ؟ فاذا وفّق الى تغيير الشر بالخير ، والباطل بالحق ، غير الله ما به . واذا كان الخطاب في هذه الآية عاماً ، فان تطبيقها على اولي الأمر والحكام اولى .

يقول الأستاذ الامام محمد عبده في (رسالة التوحيد) مشيراً الى هذه الآية : (٣) « الفقر مرتبط بالاسراف ، والذل بالجبن ، وضياع السلطان بالظلم . والثروة مرتبطة بحسن التدبير في الأغلب ، والمكانة عند الناس بالسعي في مصالحهم على الأكثر .

« أما شأن الأمم فليس على ذلك . فان الروح الذي اودعه الله جميع شرائعه الالهية : من تصحيح الفكر ، وتسديد النظر ، وتأديب الأهواء ، وتحديد مطامح الشهوات ، والدخول الى كل أمر من بابه ، وطلب كل رغيبة من أسبابها ، وحفظ الأمانة ، واستشعار الأخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح في الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل — ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ، مشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة « **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** » (٤) . ولن يسلب الله عنها نعمته ما دام هذا الروح فيها . . »

٢ — ومنها قوله تعالى : « **ومن يُوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » (٥) . ولا ريب في ان كلمة « شح » في هذه الآية تحتمل المعنيين : الحقيقي ، والمجازي ، وكلاهما له مجال في التطبيق . فأما الحقيقي فمجاله التطبيق الفردي ، واما المجازي فمجاله التطبيق الاجتماعي والسياسي . وما قرأت هذه الآية مرة الا وانتشرت أمامي صورة لشحيح النفس ، بكل المساوىء التي يحملها . وهل شح النفس الا مجموعة من الرذائل ؟ قيل قديماً : البخل عادة تحجب الفكر ، وتفسد الطبع ، وتفقد المروءة . والشح اقوى من البخل ، وشح النفس ، هو أمرها بالابتعاد عن كل فضيله ، وايحاؤها بالسوء . ومن الأقوال المأثورة : « كلمة الشح مطاعة » . وفي القرآن الكريم : « **إن النفس لأمارة بالسوء** » (٦) .

لهذا نهى الله عن شح النفس ، وأمر ان يقي الانسان نفسه من شح نفسه ، ليكون من المفلحين ، والا فهو من الخاسرين .

وسواء أكان لفظ « الشح » في معناه الحقيقي أم المجازي فان الذي يريد أن يتقيه يحتاج الى كثير من مجاهدة النفس ، وصرفها عن غرائزها ، ومحاسبتها ، والاستمرار في مخالفتها .

ومَن أولى من حكام الأمة في ان يقوا أنفسهم شحها ؟ انها تأمر بالظلم ، والظلم من شيم النفوس . وتأمر بالمحاباة ، وتأمر بجلب المنافع ، مشروعة كانت أم غير مشروعة ، ودفع المضار ، الى غير ذلك مما يتصوره العقل . ولن تكون هذه الوقاية الا بمحاسبة النفس .

٣ — ومنها قوله تعالى : « **وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى** » (٧) . ان نهي النفس عن الهوى أعلى ما تصل اليه النفس الانسانية من مراتب الكمال ، لأنه ندر ان خلت نفس من الهوى . لهذا قرن الله تعالى نهي النفس عن الهوى بالخوف من مقامه . والحاكم الذي يطمع في أن تكون الجنة مأواه ، مأخوذ بمحاسبة النفس ، ونهيها عما تحب وتكره ، بكل معاني الحب والكره . وفي يقيني أن الإتقاء أنفع من

(٤) ٣ — آل عمران — ١٤٥ . (٥) ٥٩ — الحشر — ٩ . (٦) يوسف — ١٢ — ٥٣ . (٧) ٧٩ — النازعات — ٤٠ .

التلافي . ومن كان مأموراً بالإتقاء ، كان بالأولى مأموراً بأن يتنبه الى خطئه ، أو أن يصيخ بسمعه اذا نبه اليه .

٤ – ومنها قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم . . . »** (٨) وهذه الآية أوضح من ان تفسر ، لأنها أمرت بالعدل ، وبالشهادة حتى على النفس حين الوجوب .

٥ – ولا نستقصي ، فالآيات كثيرة ، وانما نشير الى أن جميع آيات التوبة والاستغفار ، محمولة على محاسبة النفس ، لأن التائب والمستغفر قد اتضح له خطؤه ، فتاب واستغفر ، ولن تكون التوبة مقبولة الا اذا كف التائب عن الذنب ، ولن يكون الاستغفار مستجاباً الا اذا اعتدل المستغفر . وقل مثل ذلك في كل ما ورد من الآيات عن « التقوى » .

في التاريخ الراشدي

كانت سيرة الخلفاء الراشدين كلها محاسبة للنفس في تصرفاتهم القولية والفعلية ، وفي كلامهم الذي كانوا يوجهونه الى الناس .

فلقد خطب أبو بكر الناس فقال : (٩) « اياكم واتباع الهوى ، فقد أفلح من حفظ من اتباع الهوى والطمع والغضب » .

وقال في خطبة أخرى : (١٠) « فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا انه لا بد من لقاء ربكم ، والجزاء باعمالكم . . . فأنفسكم انفسكم » .

وفي سيرة عمر الكثير من الحوادث التي كان يراقب بها نفسه . من ذلك ما أخرجه ابن جرير في تاريخه عن زيد بن أسلم عن أبيه . أن نفراً من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا :

– كلّمْ عمر بن الخطاب ، فانه قد أخشانا ، حتى والله ما نستطيع ان نديم اليه ابصارنا .

قال : فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر ، فقال :

– أوَقد قالوا ذلك ؟ فوالله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك . ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله في ذلك . وايم الله ، لأنا اشد منهم فرقاً منهم مني .

وعن أنس قال : دخلت حائطاً «بستاناً » ، فسمعت عمر يقول – وبيني وبينه جدار – :

– عمر بن الخطاب أمير المؤمنين : بخ بخ ، والله لتتقين الله ابن الخطاب ، او ليعذبنّك الله . (١١) .

وفي أسد الغابة ان رجلاً قال لعمر : انطلق معي فأعْدِني على فلان ، فانه قد ظلمني ، فرفع عمر الدرة فخفق بها رأسه فقال : تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى اذا اشتغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه : أعْدِني ، اعدني . فانصرف الرجل وهو يتذمر . فقال عمر : عليّ بالرجل – أي ردُوه عليه – فألقى اليه المخفقة وقال : امتثل – أي : اقتص بمثل الضربة – فقال : لا والله ، ولكن أدعها لله ولك . قال عمر : ليس هكذا ، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده ، او تدعها لي فأعلم ذلك ، قال : أدعها لله . قال الأحنف : فانصرف عمر ، ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلى ركعتين وجلس فقال يخاطب نفسه :

– يا ابن الخطاب ! كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، فجاءك رجل يستعديك ، فضربته ، ما تقول لربك غداً اذا أتيته ؟

قال : فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبة حتى ظننا أنه خير أهل الأرض .

ولو قرأت سيرة الراشدين كلها ، لوجدتها مبنية على « التقى » ، والتقى لا يعدو ان يكون محاسبة النفس ، قبل الإقدام على العمل ، وبعد الاقدام عليه . ولقد عرّف الرسول (ص) التقى فقال : التقى ها هنا ، التقى ها هنا ، التقى ها هنا ، أعادها ثلاث مرات ، وكان في كل مرة يشير بيده الكريمة الى صدره .

في التاريخ الأموي

في التاريخ الأموي حادثة فريدة في التاريخ الانساني كله ، على طوله ، وتعدد أممه وشعوبه . تلك هي استقالة معاوية الثاني من الخلافة . جاء في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب الى ابن قتيبة : (١٢)

« لما مات يزيد بن معاوية ، استخلف ابنه معاوية بن يزيد ، وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة ، فلبث والياً شهرين وليالي محجوباً لا يُرى ، ثم خرج بعد ذلك ، فجمع الناس ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال :

– أيها الناس ! أراني نظرت بعدكم فيما صار اليّ من أمركم ، وقُلّدْته من ولايتكم ، فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي : أن أتقدم على قوم فيهم من هو خير مني ، وأحقهم بذلك ، وأقوى على ما قُلدته . فاختاروا مني إحدى خصلتين : إما ان اخرج منها ، وأستخلف عليكم من اراه لكم رضا ومقنعاً ، ولكم الله علي أن لا آلوكم نصحاً في الدين والدنيا – واما ان تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها .

قال : فأنف الناس من قوله ، وأبوا من ذلك ، وخافت بنو أمية ان تزول الخلافة منهم فقالوا : ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله فأمهلنا .

قال معاوية : لكم ذلك ، وعجلوا علي .

قال : فلم يلبثوا بعدها أياماً حتى طُعن ، فقد دخلوا عليه فقالوا :

– استخلف على الناس من تراه لهم رضا .

– فقال لهم : عند الموت تريدون ذلك ؟ لا والله ، لا أتزودها ، ما سعدت بحلاوتها ، فكيف اشقى بمرارتها .

لقد سألت اصدقائي من اساتذة التاريخ في الجامعات السورية واللبنانية والمصرية عن حادث مماثل ، او مشابه على الأقل ، عند أية أمة من الأمم ، فأجابوا بالنفي . والسؤال مطروح على من يجيب عليه . قالوا : لقد عرفت استقالات ، فيها إكراه مادي او معنوي . أما أن حاكماً استقال ، لأن في امته من هو خير منه فهذا ما لم نقع عليه .

وأية محاسبة للنفس ارفع من هذه ؟

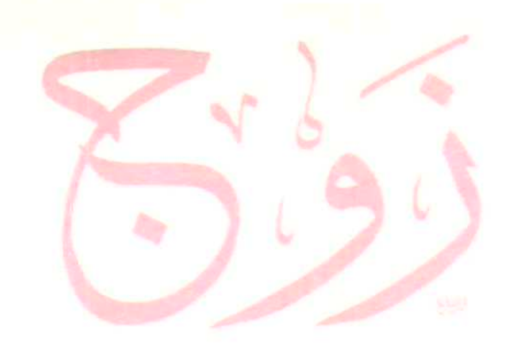
• • •

في وسعنا ان نقرر بعد هذا البحث أن الشريعة الاسلامية أوجبت وجود المعارضة السياسية ، كما استلزمت محاسبة النفس ، وإن شئت قلت : النقد الذاتي . فجمعت قبل اربعة عشر قرناً محاسن الطريقتين ■

ظافر القاسمي – بيروت

---

(٨) ٤ – النساء – ١٣٥ . (٩) اشهر مشاهير الاسلام ١٢٦/١ . (١٠) اشهر مشاهير الاسلام ١٢٦/١ . (١١) اشهر مشاهير الاسلام ص ٥١٥ في اللفظ . (١٢) ١٣/٢ وراجع الطبري٥/٥٣٠ مع خلاف يسير في اللفظ .



للشاعر: فضل العماري

يغالبني التذكار حين أغالبه ... ويسعى اليّ الهم تدمي مخالبه
وهل تكره الأحشاء من كان مؤنسي ... اذا جن ليل واستدارت كواكبه
أخو فرح قد لان بالوجد قلبه ... فأصبح مأسوراً تشد جوانبه
اذا ما ارتخى ثارت هموم فؤاده ... كطفل تناءت عنه أيد تداعبه
يبات يجيل الطرف في كل موضع ... ويحسب أن العنكبوت تراقبه
ويمعن في التسآل عن كل غيبة ... كأن نساء العالمين تحاربه
غيور يرى فيّ التفاتات منكر ... وأنيّ على مر الزمان ألاعبه
فكم قام يشكو بالتباكي وأنه ... كمن بات مطعوناً تسيل سواكبه
ويصرخ مبهوتاً اذا حس غفلتي ... وينظر شزراً اذ تثور رغائبه
فيرمي كما ترمي الزهور لحاءها ... ثياباً لها انفقت ما انا كاسبه
ويتركني دامي الجوانح مغضبا ... يهشم قلبي والعيون تخاطبه
كأني منبوذ يمل حياته ... اذا ما تحاشت من رؤاه أقاربه
فما زلت في تلطافه كي أرده ... وقد هيجتني كالعشيق حواجبه
فيفتح لي صفحات حزن كأنها ... قراطيس دجال تميل مناكبه
تقادم فيها الخط حتى كأنه ... عظام بعير قد تناثر غاربه
وكيف امتلالي بعد ما ضاع وصله ... بذاك الذي اضحت سروراً ملاعبه
فان كنت ذا حظ لديه فغربتي ... ستغدو نعيماً ليس فيه شوائبه
وان عشت محروماً على غير بسمة ... فغيري كثير عاش والبؤس صاحبه

فضل العماري – الدمام





الفن الرفيع
ابرز مظاهر حضارة الإنسان القديم

احبّ ان اعرف الخطوات التي سارها الانسان من الهمجية الى المدنية : هذا القول للشاعر الفرنسي المشهور « فولتير » وهو قول يمثل مشاعر أكثر الناس شغفاً بالماضي ، وحباً بالاطلاع . كيف كان يعيش أقدم الناس ؟ وكيف ارتقوا مدارج الحضارة ؟ وهل حقاً ما ذهب اليه المؤرخون والانثروبولوجيون الى ان البشرية قد مرت بمرحلتين رئيسيتين يفصل بينهما اختراع الكتابة حوالي عـام ٤٣٠٠ ق. م. ، على اختلاف زمني في مناطق هذا الاختراع الذي يبدأ به «التاريخ» الصحيح ؟

لأنه بالكلمة كانت بداية الانسان ، وبالكتابة كانت بداية التاريخ البشري المسجل ، وبين الكلمة والكتابة عاش الانسان ردحاً طويلاً لا يعرف على التمام مداه ، وهو يحاول ان يرقى على سائر الحيوان ، بما اوتي من موهبة « العقل » الذي قاده الى كشف الكثير من اسرار الطبيعة ولكن بعد جهد جهيد وتجربة قاسية وصدفة .

وتمضي البشرية مئات وآلاف السنين ، ويتم للانسان معرفة الزراعة وصناعة الفخار واستئناس الحيوان ، ويذهب بفخار هذه الاكتشافات ، ما أطلقوا عليه اسم « الانسان العاقل » ، وقالوا انه جد الانسان الحالي الذي خرج بالبشرية من العصور الحجرية الى عصور المعادن . وأخيراً وطيء عتبة التاريخ باكتشافه الكتابة . ولكن هل هذه الصورة الكلاسيكية لسير الركب الانساني صحيحة تماماً ؟

لا نستطيع ان نشوه الصورة التي رسمها المؤرخون معتمدين على ما قرره علماء الآثار ، وعلماء الأجناس البشرية ، وعلماء طبقات الأرض ، واختصاصيو الطب المقارن ، ومن عمل في تحديد الزمن التقريبي لما يكتشف من



لوحة تمثل صيد الانسان لقطيع من الثيران اخذت من مغارة «تاسيلي» في الصحراء الكبرى في الجزائر ..

بقلم: الأستاذ أنور الرفاعي

باطن الأرض ، ولكن المكتشفات الحديثة نفسها ، هي التي أخذت تزعزع بعض اركان هذه الصورة التي رسمها علماء القرن الماضي ، كما تزعزعت كثير من النظريات العلمية في هذا القرن ، او اخذت تعدلها او تعطيها أبعاداً جديدة ، او تلقي الأضواء على بعض جوانبها فتبرزها ، ان صح التعبير ، ولعبت الصدفة دورها في ذلك . وكان الفضل هذه المرة لفتاة قصيرة القامة دخلت كهف « التاميرا » في اسبانيا مع والدها عام ١٨٧٩م ورفعت رأسها لتحدث أباها الذي كان يمشي في الكهف منحني القامة حتى لا ينطح السقف القليل الارتفاع ، واذا بالفتاة تصيح ما هذه الحيوانات المرسومة على السقف يا بابا ؟

وكان ذلك بدء اهتمام السنيور « مارسيلينيو دي سوتولا » بالكهف ورسومه الكثيرة التي قال عنها في أول دراسة له عام ١٨٨٠م انها من رسوم انسان موغل في القدم ، وان الكهف الذي عثر عليه صدفة أيضاً قبل ثلاثة أعوام من هذا التاريخ ، بقي مغلقاً آلاف الأعوام . وتهكم النقاد على « سوتولا » ومقولته ، وأعلنوا ان الرسوم التي وجدت منقوشة داخل الكهف من صنع يد فنية ماهرة حديثة العهد ، ولكنها يد ماكرة ارادت ، كما يفعل مزيفو العاديات واللوحات الفنية ، ايهام الناس بأصالة ما يصنعون او يرسمون .

ولكن الشغف العلمي لمعرفة الحقيقة وحب الاطلاع ، لم يثنيا النقاد الفنيين والجيولوجيين والعلماء والناس على مختلف اختصاصاتهم عن زيارة الكهف . وبعد ثلاثين عاماً من بحث وفحص ونقاش ، انتهى الرأي الى ان رسوم كهف « التاميرا » اصلية ، وان الرواسب التي تغطي بعض الرسوم ترجع الى العصر الحجري



لوحة تمثل انساناً متنكراً في هيئة حيوان وجد في كهف الأخوة الثلاثة في فرنسا .

القديم ، حيث كانت تعيش سلالة الانسان المسمى « كرومانيون » ، وان هذا الانسان كان يعيش على الصيد ، ويأوي الى الكهوف ، وان الجليد في أوروبا كان يغطي مساحات أكبر مما هي عليه الآن .

وشهد النصف الثاني من القرن الماضي ، ولا يزال يشهد قرننا الذي نعيش فيه ، أبواب الكهوف القديمة المغلقة عبر السنين الطويلة ، تفتح أمام مطارق الباحثين والرواد ، فتدهشهم بما تحويه من لوحات فنية رسمت بالأسود او الأحمر ، او لونت ، او نقشت بآلة حادة على الصخر ، او صنع منها تماثيل ، وكل مواضيعها تدور حول مراحل حياة انسان تلك الفترة والحيوانات التي عاصرته ، وخاصة « البيزون » ، وهو نوع من الثيران القديمة ، و « الماموث » وهو نوع من الفيلة ، وحيوان « الرنة » وهو الوعل القطبي ، وأنواع اخرى من الوعول والخيل وغيرها من الحيوانات. وثبت للباحثين ، ان ما خلفته سلالات ما كان يسمى بطلائع الانسان من تحف فنية ، لا تدل على ذوق فني راق ، نسجته يد ماهرة فحسب ، وانما تدل على رقي فكري ميثولوجي ، وحياة اجتماعية متقدمة ، وان هذه المخلفات الفنية تفوق في روعتها ما عثر عليه بعدها بمئات السنين ، وانها كانت لها مدارس فنية كالمدارس المعاصرة لها اصولها ولها قواعدها .

وكانت الكشوف غير الفنية المتعلقة بالانسان القديم تواكب الكشوف عن هذه الكهوف ، فتم العثور على كمية أكبر من الهياكل العظمية البشرية في الطبقات الجيولوجية ، وعلى ظران (حجارة مشطوفة او فؤوس صوانية) ، وعلى مخلفات بشرية كثيرة . فاكتمل لدى العلماء صورة الانسان القديم ، فصنفوا حضاراته وثقافاته تصنيفاً جديداً ، وذهبت الأرض الفرنسية بالقدر الأكبر من اسماء هذة الثقافات ، لما وجد في ارضها من آثار . ولعل ذكرنا لواحدة منها وهو الثقافة « المجدلية » او المجدولينة التي يقدر عمرها بحوالي ١٦ الف عام قبل الميلاد ما يعطينا فكرة عن موقعها الزمني من التاريخ .

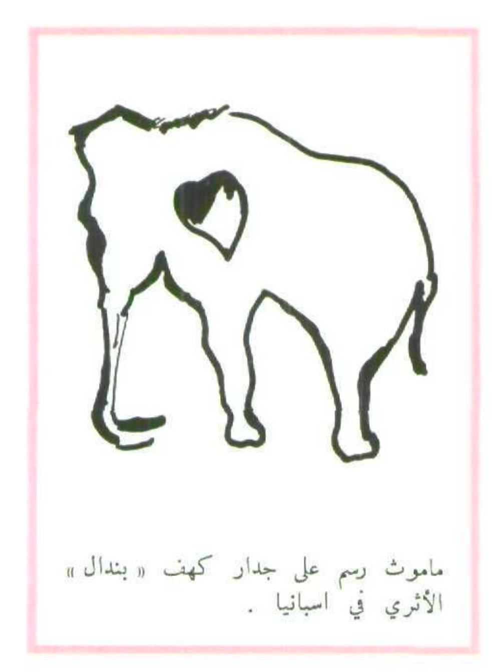
والانسان ، كما رأينا من آثاره ، رسم وصور ونقش ونحت التماثيل قبل ان يكتب ، وربما قبل ان يتقن الكلام ، وقبل ان يعرف كيف يتخذ لنفسه لباساً يواري سوأته ، أو مأوى يحميه من غائلة البرد والحيوان المفترس ، حتى ليمكن القول ان الفن قديم قدم الانسان نفسه ، نشآ معاً ، وعاشا كالاصل والظل ، لا يفترقان ، على اختلاف الزمن والمكان . وقد سجل الفن تاريخ الانسانية قبل ان تخط فيه أية اداة اخرى اية اشارة او تلميح . وليس من باب التعصب للفن ، ان نعتبر جميع ما اعتمد عليه العلماء في تصوير فترة ما قبل التاريخ من مستحاثات وأدوات مادية حجرية كالفؤوس ، او ترابية كالفخار ، او حيوانية كالعظام ، يدخل في حقل الفن ، لأن صناعة الفأس والآنية واتخاذ المسكن كنقش عظام الحيوان وكالرسم هي كلها اعمال فنية .

تطور الفن عند انسان العصر الحجري من خلال مخلفاته

اذا ما درسنا المخلفات الفنية التي عثرنا عليها من العصور الحجرية ، كمؤرخين وكفنانين وكأشخاص عاديين ، وأخذنا بعض



نموذج آخر يمثل انساناً متنكراً في جلد الحيوان وجد في مغـارة بفرنسا .



ماموث رسم على جدار كهف « بندال » الأثري في اسبانيا .

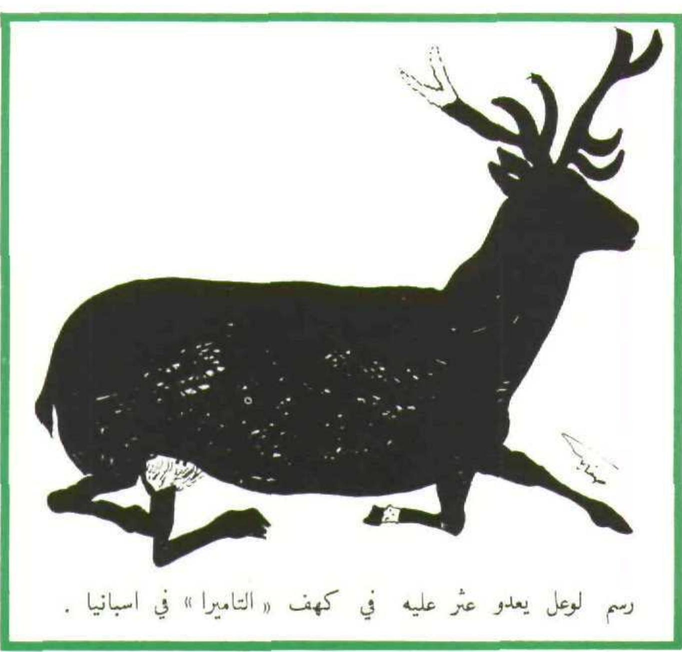
النماذج مما وقع بين أيدينا من رسوم الكهوف في أوروبا الغربية والصحراء الكبرى الأفريقية فيمكننا بعد الدراسة ان نقرر الملاحظات التالية :

• تقدم الفكر الميتي (الميثولوجي) عند الانسان الصياد ، وقد وضع الفنان مواهبه في خدمة الدين ، وهو الأمر الذي ساد المراحل التاريخية عند جميع الشعوب القديمة . وقد تكون الأشكال والرسوم المكتشفة في كهف الاخوة الثلاثة في فرنسا والمنسوخة عن جدار في مغارة الأورانج الفرنسية تعبيراً عن طقوس دينية ، تدل من الناحية الفكرية على بدء استخدام السحر والايحاء . اما من الناحية الفنية فتكاد هذه الرسوم تمثل المدرسة الواقعية ، شأنها شأن الرسوم الأخرى للحيوانات التي كانت موضع اهتمام لدى الفنانين الصيادين . فالابعاد متناسقة ، والمنظور واضح متقن ، والتفاتة الرأس وميل القرون كله يثبت ان الفن ، مر بمراحل بدائية خلال وقت طويل من الزمن قبل ان يصبح على هذه الدرجة من الواقعية والاتقان .

• نمو الملاحظة وقوة الذاكرة والمقدرة على حفظ نسب الأبعاد لتنفيذ الرسم الواقعي ، دون ان يكون موضوع الرسم حاضراً أثناء التنفيذ امام عيني الفنان . فعشرات الرسوم كانت قد رسمت في كهوف مظلمة ، وفي أمكنة حرجة ، وبدت لنا مواضيعها الحيوانية كانها « موديلات » تجمدت ساعات طويلة أمام لوحة الرسام ليستطيع ان يخرجها بهذه الدرجة من الاتقان ، فالأشكال التي تمثل « بيزون » و « ايل » و « وعل » و « حصان »



رسم يمثل « البيزون » مأخوذة من كهف « نييو » في فرنسا .



رسم لوعل يعدو عثر عليه في كهف « التاميرا » في اسبانيا .

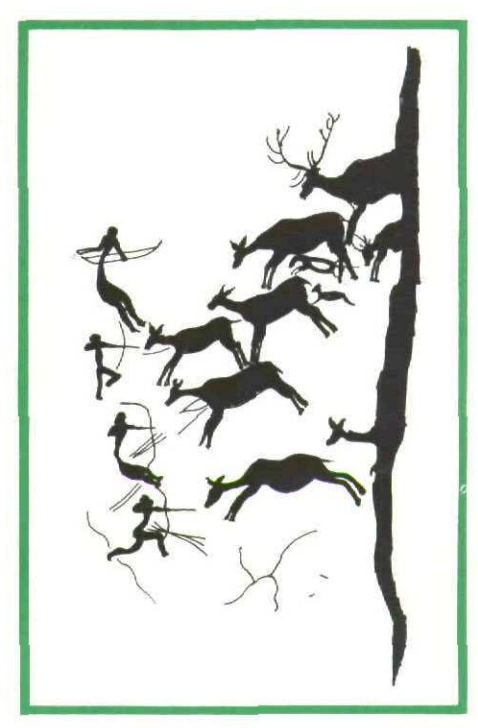
و « خنزير » ما هي الا رسوم واقعية نفذت جميعها من واقع الذاكرة ، لأنه لم يكن باستطاعة الفنان ان يدخلها الكهف ليدرسها ويرسمها ، على ظلمة الكهف وضيقه وازدحامه بالسكان من أفراد العشيرة .

* اهتمام الرسام الصياد في العصر الحجري بالحركة ، فاكثر رسومه كانت في أوضاع للجري مختلفة ، كأنها رسوم مأخوذة بآلات سينمائية حديثة تلتقط للوضعية الواحدة عدة صور ثم تنتقى احداها لتكون نموذجاً لاحدى وضعيات الحركة ، او كأنها لرسامي الصور المتحركة « كارتون » الذين يرسمون مجموعة صور بعضها في اثر بعض ليصوروها على فيلم فتبدو متحركة .

* كان الصياد الفنان قد اكتسب بالخبرة العملية معرفة الكثير من تشريح الحيوانات التي كان يصطادها ويتغذى بلحومها ، فأدرك ان القلب هو مركز الدم، ومركز الحياة، اذا أصيب القلب كانت الضربة قاضية ، لذلك نراه في بعض رسومه يرسم بالأحمر شكل القلب في موضعه من الجسم ، او يشير الى القلب مع الاسهم الموجهة اليه في شكل مبسط يشبه صور الثيران التي تصرع في حلبات « صراع الثيران » الاسبانية .

* كانت الحرب احد مظاهر الحياة الاجتماعية، او السياسية في عصر انسان « كرومانيون » الحجري ، اذ لا تدل وضعيات الرسوم والأشكال التي عثر عليها على ان الناس يقومون ببعض العاب الفروسية ، بل كانوا يقتتلون فعلاً .

* استخدم الرسام الألوان الطبيعية التي عثر عليها في محيطه وهي المغرة (OCRE) الحمراء والصفراء واوكسيد المنغنيز الأسود الموجود في الطبيعة ، وكان يسحق هذه الألوان في مساحق من الصخر البلوري ، او يودعها في عظام مجوفة للاخذ منها عند الاستعمال . وقد عثر على الكثير مما يؤيد هذا الرأي .



لوحة مأخوذة من كهف « برانكودي فالثورثا » في اسبانيا تمثل الانسان وهو يصيد الوعول والغزلان .

رسم لأدوات منحوته على عظم « الرنة » عثر عليها في حوض « الدوردون » .


لوحة منحوتة تمثل مصرع انسان أمام فريسته يرجع عهدها الى آلاف السنين .


تمثال يطلق عليه اسم « فينوس ولندورف » عثر عليه في اوربا .


لوحة تمثل ذكر البيزون في وضع متوثب ، عثر عليها في كهف « التاميرا » .

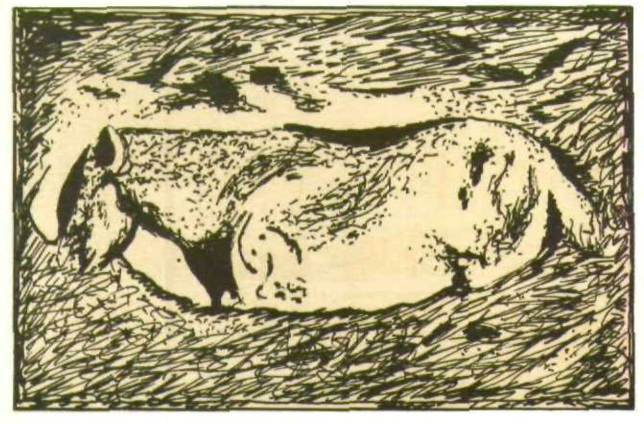


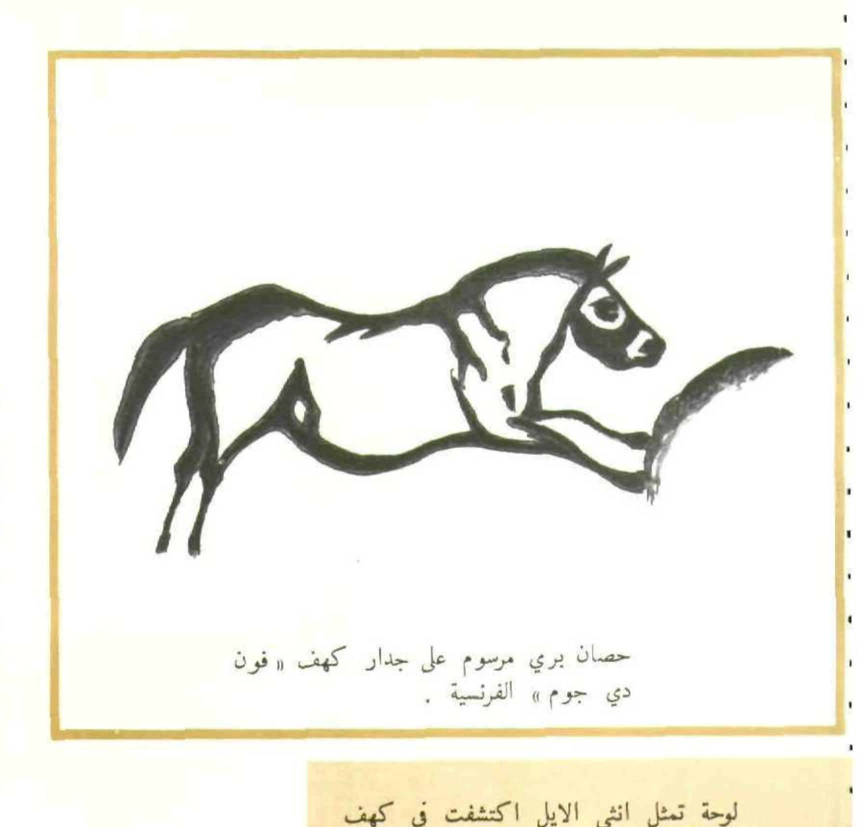
• كانت الكهوف اقدم « صالات عرض » الانتاج الفني ، تجمع انتاج مجموعة من الفنانين في مختلف المواضيع الفنية ، ويجمع النقاد على ان مجموعة كهوف « لاسكو » التي اكتشفت في حوض « الدوردون » في فرنسا عام ١٩٤٠ بأروقتها الطولانية ، وساحاتها على طرفي الأروقة ، وعرض لوحاتها بشكل متناسق وكثيف ، وتزيين السقوف ، تكاد تكون اقدم « معرض فني » دائم ، او متحف فني ، لا يمثل كل رسوم العصر ، بل رسوم مشاهير الفنانين . ولا تقتصر مواضيعها على الرسوم التقليدية للوعول والخيول والجواميس والكركدن والبيزون فحسب ، بل تمثل أيضاً مشاهد ونماذج حية من جوانب حياة الانسان التي انتجها ، من ذلك مشهد رجل هاجمه « بيزون » ضخم فارداه قتيلاً ورمى الى جانبه سلاحه ، بينما يبتعد كركدن عن هذا المشهد .

• لم يكتف الفنان الصياد بالرسم ، بل نقش على العظم والصخر قبل ان يعرف الفخار ، ونحت من الصلصال تماثيل وتمائم ، وحاول ابراز الصورة بحفر جوانبها حتى تبدو للعيان بأنها بارزة . واذا كان موضوع ايهما اقدم الرسم ، ام النقش والنحت ؟ أي أيّ الفنين كان أسبق للانسان ، ليس من حديثنا في هذا المقال ، فان من مخلفات انسان العصر الحجري عشرات التماثيل الصغيرة التي اطلق عليها النقاد اسم « فينوس » . وليس « فينوس » و « لندورف » الا نموذجاً واحداً يعطينا فكرة عن الشكل والحجم . أما النقش البارز الموجود في كهف « لوسيل » في حوض « الدوردون » فلعله يمثل نموذج الجمال المحبب ، او لعله يمثل الواقع الجسماني للمرأة في تلك الأيام . ومهما يكن من أمر تفسير هذا النقش ، فان النقاد اطلقوا عليه اسم « فينوس لوسيل » .

• النحت في الصخر . وفي كهف « مونتسبان » الذي اكتشف عام ١٩٢٣م توجد تماثيل من

رسم لحصان منحوت في الصخر ربما يرجع عهده الى العصر الحجري وهو مظهر آخر لمستوى الفن الرفيع الذي بلغه الانسان في ذلك العصر .





حصان بري مرسوم على جدار كهف « فون دي جوم » الفرنسية .

لوحة تمثل انثى الايل اكتشفت في كهف «التاميرا» في اسبانيا .

الصلصال لدب وانواع اخرى من الحيوان ، مشكلة تشكيلاً فنياً ، ووضعت مكان الرؤوس رؤوس حقيقية كاملة لهذه الحيوانات ، وهذا ما رجح الرأي القائل بأن هذا النحت أعد ليكون « ديكور » لعملية طقوس الصيد ، وتقريبها من الواقع ، خاصة وان آثار طعن حقيقية بأدوات حادة شوهدت على هذه التماثيل ، مما يذهب دليلاً على ان الطعن الفعلي كان يشكل جانباً من جوانب هذه الطقوس .

وبعد .. فان احداً لا يستطيع الادعاء بان جميع ساكني الكهوف كانوا فنانين ، او وصلوا المرتبة الرفيعة التي تمجد ذكراهم .

فلم يكن أي مجتمع بشري يملك هذه الميزة ، لكن الفن في العصور الحجرية ، كالفن في كل العصور ، ينتج عن موهبة فردية ، والفنان رجل مزود بهبات فطرية نادرة ، والعبقرية كما يقول افلاطون هي الهام او هي ومضة الهية وحيوية وقوة دافعة لا تصيب الناس جميعاً . وهكذا كان بين اناسي عصور ما قبل التاريخ عدد من الموهوبين العباقرة ، فاقوا معاصريهم باحساساتهم وذوقهم الرفيع ، وتمكنوا من التخلص ولو الى حين ، من مشاكل الحياة اليومية الملحة التي لا يستطيعون بدونها تأمين أودهم اليومي ، ليتفرغوا لاشباع ميولهم الفنية ، وللقيام بالأعمال الفنية التي عثرنا على القليل القليل منها .

ويجمع النقاد على ان شواهد الفن القديم الذي تكشفت لنا روائعه من خلال الرسوم والنقوش كانت من عمل أناس موهوبين ، وصلوا الى انتاج هذه « الروائع » بعد ممارسة . وهم يثبتون ان الحضارة الانسانية لم تتخذ خطاً صاعداً مستقيماً ، بل خطاً بيانياً كثير التعاريج بالنسبة للزمان والمكان ، وكان الفن الجميل هو طابع حضارتهم ■

انور الرفاعي – دمشق



رسم للوحة تمثل خنزيراً جامحاً مأخوذة من كهف «التاميرا» في اسبانيا .



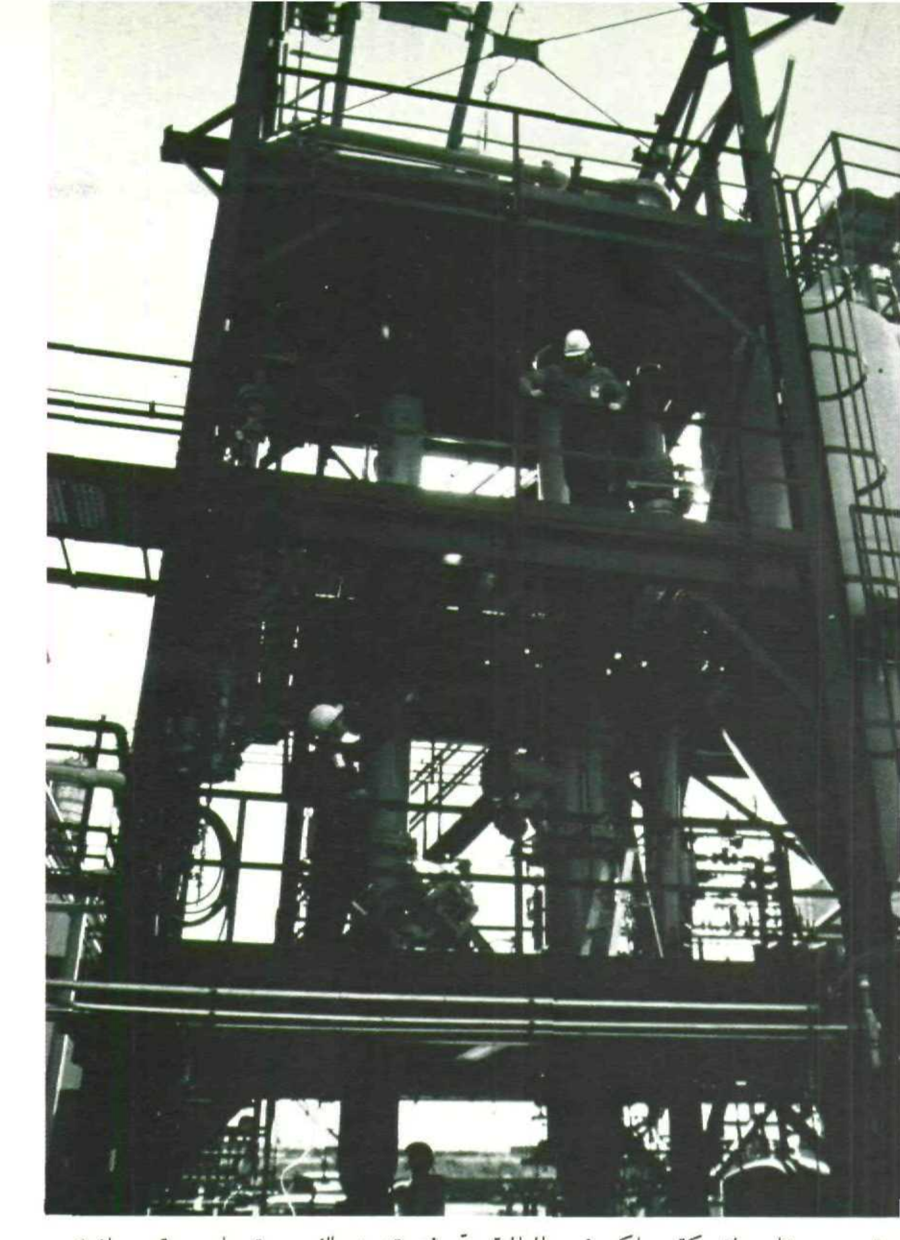
أحد عمال مناجم الفحم العميقة وهو يستخدم الآلات الحديثة في التعدين .

ما كانت لنهضة الصناعية التي اجتاحت العالم الغربي في القرن السابع عشر لتزدهر لولا اكتشاف الفحم بكميات كبيرة ، فقد لعب الفحم دوراً بارزاً في دفع عجلة الحضارة الحديثة خطوات واسعة الى الأمام بوصفه مادة وقود ثمينة سخّر الإنسان طاقتها لتحقيق اهدافه نحو حياة أفضل . ولم يأخذ الفحم يفتقد أهميته إلا بعد اكتشاف البترول ، ومع ذلك فإنه لا يزال يعتبر مصدراً حيوياً من مصادر الطاقة التي يعوّل عليها الإنسان في تأمين متطلبات الحياة وتلبية حاجاتها العديدة المتنوعة .

الفحم الحجري والحضارة الانسانيّة

كلّما وردت كلمة « الفحم » على الألسنة قفزت الى الأذهان تلك الصورة التقليدية القاتمة من مخلفات ماض قريب ، صورة احد عمال مناجم الفحم وهو يتصبب عرقاً ، يحمل فأساً ومجرفة ، يقطع بالأولى كتل الفحم التي تركت بصماتها واضحة على وجهه ويديه ، ويرفع بالثانية ما قطعه ليضعه في عربة خاصة يدفعها أمامه في دهاليز المنجم المظلمة ليوصلها الى مكان تجميع الفحم . ومع أن هذه الصورة الكئيبة استحالت مع الأيام الى صورة مشرقة بادخال آلات ضخمة في مجال التعدين في مناجم الفحم ، وابتكار أساليب تكنولوجية حديثة أعفت العامل من كثير من مهامه الشاقة ، الا ان تلك الأيام رغم قسوتها تعيد الى الذاكرة أصداء الأهازيج الشعبية التي كان العمال يرددونها في ذهابهم الى مناجم الفحم لاستخراج تلك المادة النافعة لتوليد الطاقة البخارية لتسيير القاطرات والسفن والسيارات .

لقد كانت مناجم الفحم سبباً مباشراً في قيام العديد من المدن الصناعية حولها ، وخاصة في أمريكا وانكلترا حيث يكثر فيهما وجود الفحم . والى الفحم يعزى تحوّل الولايات المتحدة الأمريكية من أمة زراعية الى أمة صناعية متقدمة



تجريبي تابع لشركة «اكسون» العالمية يتم فيه تغويز الفحم وتسييله بحرقه مباشرة مع
ة معايير تلوث الهواء المقررة .

حين أخذت تستعمل الفحم على نطاق واسع لتوليد الكهرباء ، وتدفئة المنازل ، وتشغيل مصانع الحديد والصلب ، وتسيير القطارات والسفن . ولم تتزعزع مكانة الفحم كمصدر للطاقة الا في أعقاب الحرب العالمية الثانية عندما دخل البترول والغاز الطبيعي بمشتقاتهما العديدة ميدان الطاقة .

ان وفرة البترول ، وسهولة معالجته ونقله ، وانخفاض تكاليفه قياساً بالفحم ، مهدت له سبل الاستعمال على نطاق واسع في مجالات صناعية عديدة . ولم يقف الأمر عند حد الاستعمال ، بل صممت آلات الاحتراق الداخلي وغيرها من الآلات التي تعمل بأحد مشتقات الزيت والغاز على نحو يتلاءم مع خصائص مواد الوقود الجديدة ، ولذلك أخذ استخدام الفحم يتضاءل شيئاً فشيئاً نظراً لصعوبة الحصول عليه واستخراجه ونقله من مكان الى آخر ، أضف الى ذلك ما يلحق البيئة من أضرار ، وما ينجم عن احتراقه من تلويث للجو .

ومع كثرة المشاكل التي تعترض عملية استخراج الفحم من المناجم ، وصعوبة استخدامه كوقود سهل التناول ، شأن مواد الوقود المصنعة من الزيت والغاز ، فان الفحم يبقى كأحد الكنوز التي تدخرها الأرض ، يلجأ اليه الانسان اذا ما عز وجود الكنوز الأخرى ، ولهذا تجند كثير من المؤسسات ومراكز الأبحاث في البلدان الصناعية المتقدمة ، الغنية بالفحم ، علماءها وخبراءها لتطوير عمليات استخراج الفحم من أعماق المناجم ، وتحسين وسائل الاستفادة منه عن طريق انتاج مواد جديدة منه . وما دمنا نتحدث عن الفحم كمصدر من مصادر الطاقة التي أفاء الله بها على البشرية ، جدير بنا أن نتعرف الى ماهية هذه الثروة الطبيعية ، وكيفية الاستفادة منها حاضراً ومستقبلاً .

كيف تكوّن الفحم الحجري

ان الفحم ، ذلك الصخر الأسود ، هو من أصل عضوي — Organic نتج عن تحلل النباتات والأشجار والحشائش التي طمرت في طيات الأرض منذ ملايين السنين عبر العصور الجيولوجية المتعاقبة ، ثم تحجرت بفعل ضغط الطبقات الأرضية فوقها وحرارة باطن الأرض العالية . ففي تلك الأزمنة الغابرة لم تكن الأرض كما هي عليه في الوقت الحاضر ، فبعض أجزائها ، كانكلترا على سبيل المثال ، كانت أرضاً منخفضة كثيرة الرطوبة والحرارة ومكسوة بالغابات ، ولما ماتت تلك الأشجار بفعل ما طرأ على سطح الأرض من تغيرات طبيعية ، تساقطت الأوراق وكونت طبقة سميكة فوق الأرض ، ولما أخذت القشرة الأرضية تنخفض رويداً رويداً غمرتها مياه البحار فمزجت الأشجار والأوراق بالماء والطين والرمل ولم تلبث بمرور ملايين السنين ان انطمرت ، وبفعل الضغط والحرارة العاليين تحولت هذه النباتات المطمورة الى فحم .

ويتكوّن الفحم بصورة رئيسية من الكربون الناتج مباشرة من مركبات كربونية معقدة كالنشا والسكر والسيلولوز . والمعروف عن الفحم على اختلاف أنواعه أنه كلما ارتفعت نسبة الكربون فيه زادت قيمته الحرارية . كما أن اختلاف عمق الطبقة الأرضية التي يوجد فيها الفحم يقرر الى حد كبير جودته ونوعيته اذ كلما زاد العمق ارتفعت جودة الفحم . ومن المركبات الكربونية المعقدة المطمورة جاءت أصناف عديدة للفحم تختلف فيها نسبة الكربون ، ويتميز كل نوع بخصائص معينة تحدد مجال استعماله . ومن بين هذه الأصناف

« الفحم البني – Brown Coal » وهو طري نسبياً من أصل قاري او «بيتوميني–Bituminus» يغلب عليه اللون البني المشوب بالسواد ، وتبلغ نسبة الكربون فيه بين ٦٠ بالمئة و ٧٥ بالمئة ، ويحترق بلهب مدخن . وهناك نوع آخر يطلق عليه اسم « الخث – Peat » وهو نسيج نباتي نصف متفحم تكوّن بتحلل الأشجار تحللا جزئياً في الماء . ويظهر أن هذا النوع من الفحم حديث التكوّن ، اذ لم يمض عليه وقت كاف ليتحجر . وهناك فحم « الليجنيت – Lignite » ذو اللون الأسود اللامع الذي تبلغ نسبة الكربون فيه ما بين ٧٥ بالمئة و ٩٠ بالمئة . وهو يحترق بلهب ساطع مكوناً قليلاً من الدخان . ولعل أجود أنواع الفحم هو الفحم الصلب المعروف باسم فحم « الانثراسيت – Anthracite » ، وهو أقسى أنواع الفحم وأغناها بالكربون اذ تصل نسبته فيه الى ٩٣ بالمئة ، وهو يحترق بدون لهب ولا ينتج عن احتراقه دخان . بيد أن هذا النوع من الفحم يتطلب درجة عالية من التسخين وكمية وافرة من الهواء النقي ليساعد في عملية الاحتراق ، ولذا يستعمل في السفن والقاطرات والمصانع .



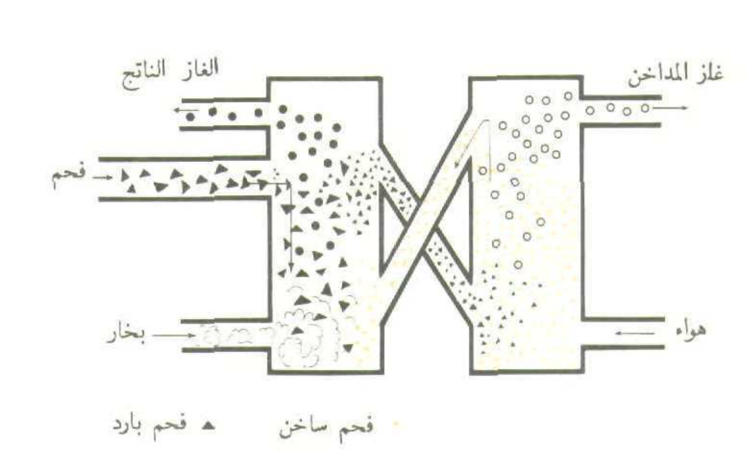
يوجد الفحم في بعض المناطق قريباً من السطح مما يجعل أمر الحصول عليه أسهل منالا وأقل كلفة .

متى عرف الإنسان الفحم ؟

لا يعرف على وجه التحديد الزمن الذي اكتشف الانسان فيه هذه المادة ، ولا كيفية استعماله لها . غير أن الحفريات الأثرية التي أجريت في مقاطعة « ويلز » بانجلترا أتت بدلائل تشير الى أنه استعمل في العصر البرونزي أي منذ نحو أربعة آلاف سنة ، في اضرام النار لاحراق جثث الموتى كطقس جنائزي . كما اكتشفت بقايا رماد الفحم في قلاع رومانية كثيرة وفي المساكن التي كان يضمها سور الامبراطور « هدريان » ، وذلك يعود الى سنة ١٢١ ميلادية . هذا وقد استعمل سكان الصين الفحم كوقود قبل ميلاد المسيح بقرون كثيرة . وقد ورد ذكر الفحم في مواضع كثيرة في الانجيل وفي مؤلفات الكتّاب اليونان والأغارقة . من هنا نرى أن استعمال الفحم في تلك الاحقاب البعيدة كان محدوداً ، ولم يتسع نطاق استعماله الا في القرون الوسطى ، فغدا يحرق في الأفران والمواقد للاستفادة منه في أعمال الحدادة . وكان الفحم يجلب انذاك من الشواطيء بكميات ضئيلة وبطرق بدائية لا جهد فيها ولا مشقة . غير أن الطريقة التي كان يحرق فيها الفحم ، في تلك الفترة من تاريخ الانسان ، لم تكن طريقة سليمة ، اذ كان ينتج عن حرقه غازات سامة وروائح كريهة أثارت سخط الكثيرين واشمئزازهم من هذه المادة ، وبلغ الأمر حداً لا يطاق مما حدا بالملك « ادوارد الأول » (١٢٣٩ – ١٣٠٧) ملك بريطانيا الى أن يصدر قانوناً يقضي بتحريم استعمال الفحم ، وانزال عقوبة الاعدام بحق أي شخص يقبض عليه وهو يستعمل الفحم كوقود . ويعزى عدم استعمال الفحم كوقود في المنازل في تلك الفترة الى ارتفاع تكاليف المداخن التي كانت تصنع من الحديد . بيد أنه لما أخذ الناس ببناء مداخن منازلهم من الطوب ، عاد الفحم ليصبح مادة وقود جيدة تستخدم في تدفئة المنازل وخاصة في أيام الشتاء القارسة البرد . ولم يقتصر استعمال الفحم على التدفئة بل أخذ يعم استعماله في القرن الثامن عشر في الأفران لانتاج الحديد والصلب ، الأمر الذي جعل من مادة الحديد مادة رخيصة بعد أن كانت من المواد النادرة والثمينة .

وقد اكتشف الفحم في الولايات المتحدة الأمريكية أول ما اكتشف في مدينة « اتيكا » في ولاية ألينوى عام ١٦٧٣م على يد « لويس جوليييت » و« جاك ماركيت » . أما أول منجم للفحم في الولايات المتحدة فقد دشن عام ١٧٤٥ في مدينة رتشموند في ولاية فرجينيا . ولم يلبث ان أخذ عدد المناجم يرتفع تدريجياً في مناطق مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية . وكثيراً ما كان يعثر على الفحم في طبقات الأرض القريبة من السطح حتى لقد كان المزارعون وهم يزاولون اعمالهم الزراعية من حراثة وعزق يعثرون على عروق الفحم فيستخلصونها ويبيعونها الى الحدادين بأثمان بخسة . ولما أدرك الناس قيمة الفحم تألفت شركات عديدة راحت تبحث عن مناطق وجوده ، ومن ثم باشرت اعمال تعدينه بفتح مناجم سطحية او مناجم عميقة تبعاً لمقدار كمياته ونوعياتها . ومنذ ذلك الحين ازداد انتاج الفحم في بلدان كثيرة وتعددت منافعه . فبالاضافة الى استعماله في أغراض التدفئة ، أصبح الفحم المادة الاساسية في تشغيل المصانع وتسيير السفن والقاطرات وتوليد الكهرباء وانتاج مواد كثيرة منه عن طريق التقطير الاتلافي بمعزل عن الهواء كفحم الكوك ، والنشادر ، والغاز والزيوت القطرانية . ومن هذه الزيوت القطرانية

العلماء والباحثون في مراكز الأبحاث يجرون تجارب عديدة على أمل التوصل الى أساليب تقنية يمكن بواسطتها استخراج مواد وقود جديدة من الفحم .



يبين هذا الرسم عملية تغويز الفحم .

يبين هذا الرسم عملية تسييل الفحم .

تقطر سوائل متعددة ، على جانب عظيم من الأهمية في الصناعة الكيميائية مثل « البنزين Benzene » و « التولوين — Toluene » و « الزيلينول — Xylenol » و « الفينول — Phenol » وغيرها مما يدخل في صنع كثير من العقاقير الطبية والأصبغة والمتفجرات . ومع أن مكانة الفحم أخذت تتزعزع في مطلع القرن العشرين بدخول البترول والغاز حلبة الصناعة ، الا ان بعض المؤسسات الصناعية ومراكز الابحاث تواصل جهودها العلمية والتكنولوجية في مجال ايجاد أساليب حديثة للانتفاع بالفحم واستخلاص مواد وقود اصطناعية منه تساعد في دفع عجلة الصناعة ، مع الأخذ بعين الاعتبار العامل الاقتصادي الذي يقرر الى حد بعيد جدوى تلك الجهود والمحاولات الجادة . ولعل اكثر ما يتطلع اليه العلماء والخبراء والباحثون في هذا الصدد هو امكان استخلاص مواد الوقود الصناعي من الفحم عن طريق « تغويزه — Gasification » و « تسييله — Liquefaction » أي تحويله الى سائل . ولهذا الغرض انشأت بعض المؤسسات والشركات ، ومن بينها شركة اكسون العالمية وشركة أسو ، « معامل تجريبية — Pilot Plants » ولقد كانت النتائج الأولية مشجعة .

كيفية تغويز الفحم

ان فكرة تغويز الفحم ليست جديدة بل تعود الى أكثر من نصف قرن ، بيد ان دوافع تطويرها على نطاق واسع تلاشت لأنه أصبح في مقدور الناس الحصول على الغاز الطبيعي بتكاليف قليلة . وأول عملية لتغويز الفحم أجريت في المانيا حيث تم انتاج ما عرف بـ « غاز المدن » وهو غاز اصطناعي ذو محتوى حراري منخفض ، عمّ استعماله في كثير من البلدان الأوروبية والأمريكية قبل اكتشاف الغاز الطبيعي . وقد توصل الباحثون الى معرفة عمليات كثيرة لتحويل الفحم الى غاز وهي وان اختلفت شكلاً وموضوعاً الا أنها تؤدي الى نتيجة واحدة . وتتجلى الفروق بين العمليات المختلفة في الطريقة التي يتم بها تلقيم اجهزة المفاعل بالفحم ، وفي شكل المفاعل ذاته ، وفي الطريقة التي يتم بها توفير الحرارة العالية اللازمة لتفاعلات التغويز . فالفحم يدفع في مفاعل مضغوط ذي حرارة عالية ، ثم يحقن البخار في المفاعل ليتولد بذلك تفاعل كيميائي ينتج عنه الغاز الخام . ثم يجري بعد ذلك تحسين الغاز بنزع « ثاني اكسيد الكربون — Carbon Dioxide » و « كبريتيد الهيدروجين — Hydrogen Sulfide » منه ورفع نسبة مركب « الميثان — Methane » فيه . كما يجري في بعض المعامل تنقية الغاز بتمريره بأوعية مملوءة بالجير والكلس لتخفيض نسبة ما يحتويه الغاز من الكبريت . ومن بين المشاكل التي تواجه عملية تغويز الفحم هو الرماد المتخلف عنه ، ويبلغ نحو ١٠ بالمئة من وزن الفحم ، وهو أمر يتطلب جهداً كبيراً للتخلص منه كلما تراكم في أجهزه المفاعل . كما تتطلب أيضاً ضبطاً دقيقاً لحرارة المفاعل ، فاذا زادت الحرارة على ٢٠٠٠ درجة فرنهايت فان رماد الفحم ينصهر ويتسبب في انسداد معوجات الأجهزة . أضف الى ذلك أن بعض أنواع الفحم يبدأ في التكتل مع ارتفاع درجة الحرارة ومن ثم يأخذ في التمدد على نحو يشكّل خطراً على الأجهزة . ويحاول العلماء والخبراء التغلب على هذه المشاكل بشتى الوسائل والأساليب التقنية .

تسييل الفحم

تنطوي عملية تسييل الفحم على التحديات ذاتها التي تواجه عملية التغويز ، وهي تشبهها في كثير من الوجوه وخاصة في الأجهزة المستخدمة لغرض تسييل الفحم . فيضم المعمل بصورة رئيسية مفاعلاً مضغوطاً ذا حرارة عالية يحتوي على شبكة كبيرة من المعوجات المصنوعة من الصلب ومكثفات ضخمة يتم عبرها تفاعل بين الهيدروجين والفحم ، ينتج عنه بالتبريد عدد من الزيوت القطرانية التي يجري فصل بعضها عن بعض بوسائل التكرير التقليدية . ويمكن القول بصورة عامة أن الطن الواحد من الفحم ينتج نحواً من برميلين الى ثلاثة براميل من الزيت الاصطناعي .

وهكذا تتضافر جهود العلماء في البحث عن أساليب تقنية جديدة للاستفادة القصوى من هذه الثروة الطبيعية التي يختزنها باطن الأرض ■

اعداد : سليمان نصر الله — هيئة التحرير
عن مجلة « بوليتن »

تصوير : « دافيد مور » ، تد روزومالسكي ونك فاسيانو »

تعريفات بترولية

ماذا نعني عندما نقول..



كل مجال من مجالات الحياة العلمية والصناعية ، وكل فن بل وكل نوع من أنواع السلوك الانساني والمعيشي له مصطلحات وعبارات لها مدلولها الخاص ، تتردد كثيراً لدى الحديث عنه او البحث فيه . وما كانت صناعة الزيت المعقدة والمتشعبة، لتشذ عن هذه القاعدة . ولقد اخذت هذه المصطلحات تكثر وتتردد في الصحف اليومية والمجلات والنشرات الدورية لدرجة يضطر معها القارىء العادي ، في بعض الحالات ، الى السؤال والاستفسار . ونظراً لأهمية الزيت وصناعته فاننا نورد هنا بعضاً من هذه المصطلحات التي قد تواجه القارىء أثناء مطالعاته اليومية او العابرة ، علها توضح ما يعجم عليه وتيسر له ادراكه، دونما حاجة الى سؤال او استفسار .

البترول PETROLEUM

نعني به واحداً من او جميع ما يلي : الزيت الخام ، الغاز الطبيعي ، وأي مادة هيدروكربونية سائلة او غازية في الحالة الطبيعية .

الخام او الزيت الخام

CRUDE OR CRUDE OIL

بترول سائل غير مصنّع . والخام يوجد على عدة اشكال ، تحتاج معالجة كل منها الى طريقة مختلفة ووسائل تكرير متنوعة . ويمكن ان يكون سائلاً ثقيلاً كالقار او سائلاً رقيقاً كالماء . ويمكن ان يتراوح لونه بين الأصفر والأخضر والأحمر والبنفسجي والأسود والزيت الخام على نوعين : حلو ومر . . والمر منه يحتوي على غاز كبريتيد الهيدروجين ، أما الحلو فيخلو من هذا الغاز . والزيت يحتوي أيضاً على نسب مختلفة من الكبريت . فالنوع الذي يحتوي على نسبة عالية من الكبريت غير مرغوب فيه لدى الدول المستهلكة بسبب مشكلة التلوث .

الغاز أو الغاز الطبيعي

GAS OR NATURAL GAS

بمعنى مبسط ، انه بترول في حالة غازية . وهو غالباً ما يوجد مجتمعاً او ممتزجاً بالزيت الخام . وضغط الغاز في باطن الأرض يساعد على دفع الخام الى سطح الأرض ، على ان هناك آباراً تنتج الغاز ولا زيت فيها . والغاز الطبيعي يختلف تماماً عن الغازولين او البنزين الذي نستعمله وقوداً للسيارات ولا يجوز ان نخلط بينهما . فهذا الأخير ، أي البنزين ، نحصل عليه بعد عملية تكرير الزيت الخام المعروفة .

الغاز الطبيعي السائل أو المسال

LIQUEFIED NATURAL GAS (LNG)

يتحول الغاز الى سائل عندما تصل حرارته ، او درجة برودته في واقع الحال ، الى ٢٨٥ درجة فرنهايت تحت الصفر (١٥٨ درجة مئوية) . ويمكن خزنه ونقله وهو في تلك الحالة ، الا ان ذلك يحتاج الى تكاليف كبيرة .

غاز البترول السائل او المسال

LIQUEFIED PETROLEUM GAS (LPG)

ويعرف عادة بالغاز المعبأ في اسطوانات . كالبروبان والبيوتان ، ويستعمل في الأغراض المنزلية في المناطق التي تفتقر الى وجود انابيب تمد مرافقها بالغاز الطبيعي .

السجّيل الزيتي

OIL SHALE

ويطلق على الزيت المستخرج منه الزيت السجيلي – Shale Oil ، او الصخري . والسجّيل كلمة فارسية معناها حجارة الطين اليابس ، ويقال له كذلك زيت الطُفال ، والطفال ايضاً يعني الطين اليابس . وعلى أية حال فهذه الصخور تحتوي على مواد عضوية صلبة تدعى « كيروجين – Kerogen » . فاذا ما استخرجت هذه الصخور من باطن الأرض وسحقت وسخّنت الى اكثر من ٨٠٠ درجة فرنهايت (٤٤٥ درجة مئوية) فانها تفرز مادة الكيروجين التي تحتوي عليها . وهذه المادة شبيهة بالبترول ويمكن معالجتها وتكريرها ، تقريباً ، بنفس الطريقة التي يكرر بها الزيت الخام . ويكثر وجود هذه الصخور في الولايات الوسطى ذات الجبال الصخرية من الولايات المتحدة الأمريكية . لكن الحاجة الى الوسائل التقنية المنخفضة التكاليف جعلت امر تطوير هذه المصادر من الصعوبة بمكان . كما ان هناك مشاكل بيئية اخرى وخاصة الكيفية التي يمكن بواسطتها التخلص من بقايا الصخور بعد استخلاص الكيروجين منها .

الرمال القارية

TAR SANDS

انها رمال تحتوي على زيت خام ثقيل ، ويجب ان تمر في مرحلتي التعدين والمعالجة قبل ان تتخلى عن محتوياتها من المواد البترولية بحيث يمكن تكريرها . وقد أمكن اليوم استخلاص الزيت من هذه الرمال القارية بكميات تجارية في كندا .

برميل

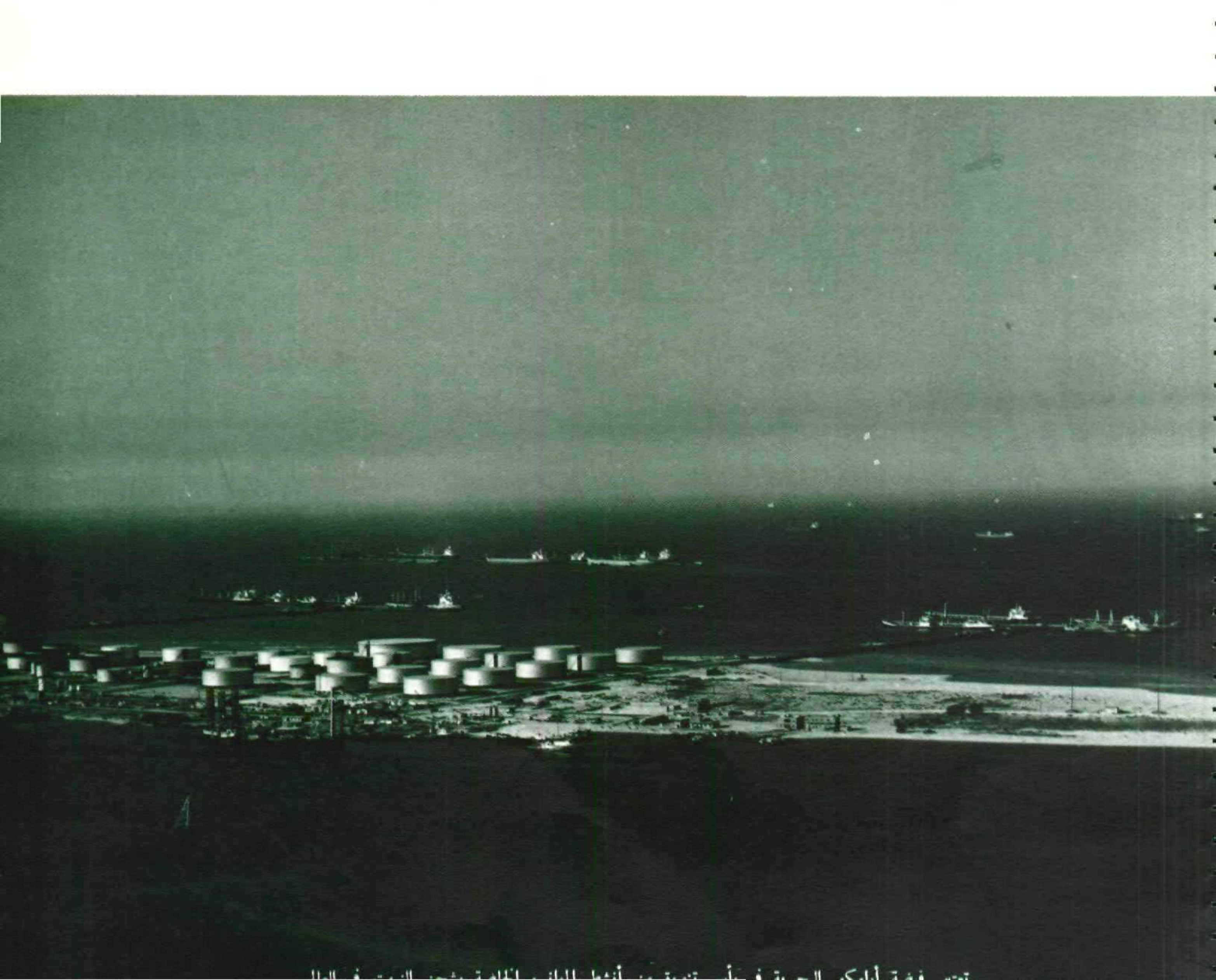
BARREL

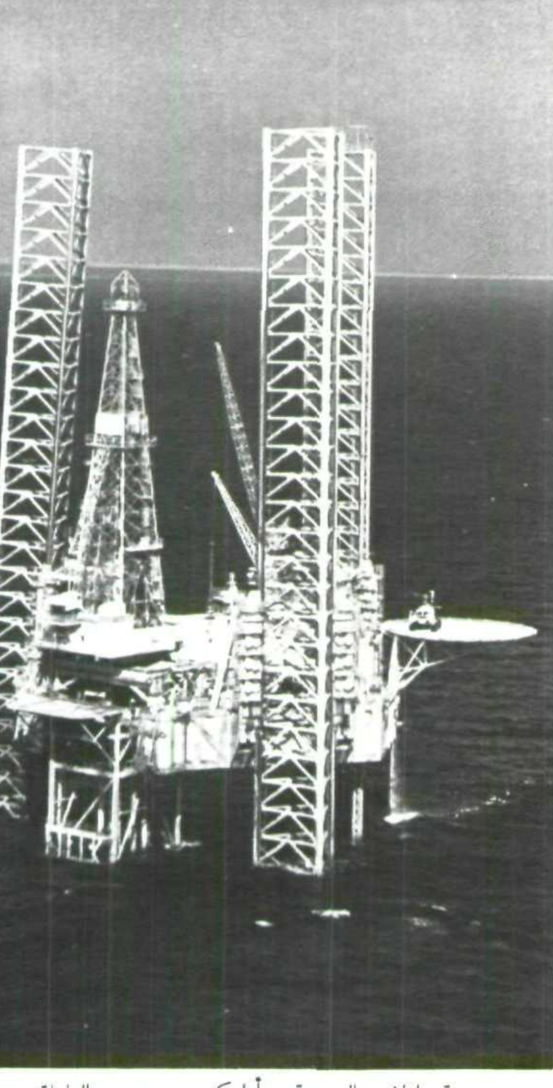
هذه التسمية تعني وعاءاً يستوعب ٤٢ جالوناً امريكياً . الا ان شركات الزيت تستخدم في واقع الأمر براميل يستوعب الواحد منها ٥٥ جالوناً . ومن المعروف ان شحن الزيت الخام غالباً ما يتم بواسطة الأنابيب او الناقلات .

برميل يومياً (ب/ي)

BARRELS-PER-DAY B/D

انه مقياس لمعدل طاقة الانتاج خلال ٢٤ ساعة ، علـى اعتبار ان السنة ٣٦٥ يومـاً .





منصة الحفر البحرية « أرامكو — ٢ » العاملة في مياه الخليج العربي ، وهي تستطيع العمل في مياه يصل عمقها الى ٢٥٠ قدما .

الجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة تستقبل الناقا



مقطــرات وُسْــطى
MIDDLE DISTILLATES

هذه تسمية تطلق على بعض منتجات معمل التكرير امثال « الكيروسين — Kerosene » ، وزيت الوقود الذي يستعمل للتدفئة في المنازل — (Home Heating Oil) ، ووقود الديزل — (Diesel Fuel) ، وتأتي هذه المنتجات في وسط سلم سلسلة تقطير الزيت الخام . ومن فوق هذه السلسلة تأتي المواد الأخف والسريعة التبخر والاشتعال مثل البنزين — (Gasoline) والنفتا — (Naphtha) . ويأتي تحت السلسلة الوسطى ما يدعى بمنتجات قعر البرميل مثل زيوت الوقود الثقيلة المختلفة — (Heavy Residual Fuels) والاسفلت — (Asphalt) .

بَــدْءُ التشــغيــل
ON STREAM

وهذا المصطلح يطلق عندما يكون المرفق في وضع يمكنه من الانتاج . وهذا يعني ان هناك سلسلة عمليات بترولية اخرى قد تؤخذ في الحسبان عندما يبدأ الزيت او الغاز بالتدفق الى معمل التكرير او مرافق النقل .

حَقْــل الــزّيت
OIL FIELD

يعني منطقة معينة تحت سطح الأرض يتجمع فيها الزيت في مسامات الصخور او الرمال كما يتجمع الماء بالاسفنج . وقد تكون هذه المنطقة صغيرة او كبيرة .

فَــرز الغَــاز مِــن الــزّيت
GOSP
GAS OIL SEPARATOR PLANT

هي عملية فرز او فصل الغازات الطبيعية الممزوجة بالزيت عند استخراجه من باطن الأرض والتي تتم في معامل فرز الغاز من الزيت . ويوجد حوالي خمسين من هذه المعامل في مناطق الانتاج في أرامكو .

الاحتِــيَاطي
RESERVES

اتخذت بعض الشركات والبلدان المنتجة للزيت تسميتين للاحتياطي في الآونة الأخيرة . احدهما الاحتيــاطي الثــابت وجوده — (Proved Reserves) ، اي كميات الزيت والغاز



جانب من المنطقة الصناعية في بقيق حيث تتم معالجة أكثر من ثلثي انتاج أرامكو من الزيت .

بِــئرجَــافَّــة
DRY HOLE (DUSTER)

بئر تحفر فلا يعثر فيها على زيت ولا غاز . وتذكر الاحصاءات ان معدل تكاليف حفر البئر الجافة على اليابسة يبلغ نصف مليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا . وقد تراوحت تكاليف حفر بئر الزيت في منطقة امتياز أرامكو على اليابسة خلال عام ١٩٧٤ مـــا بين ١٦٠٠٠٠٠ ريــال سعودي و ٢٢٠٠٠٠٠ ريال سعودي .

المخــزُون
INVENTORIES

هو الموجود او المتوفر من منتجات البترول المخزنة لتلبية حاجات الزبائن واستمرار عمل خطوط الأنابيب وامداد معامل التكرير بحاجتها لدى قيامها باعمال تكرير اضافية . ولمعامل التكرير مخزونها الخاص من الخام يكفي لتشغيلها حسب الحاجة .

أحد مرافق انتاج سوائل الغاز الطبيعي في أرامكو .


ضخمة لتحمل الزيت الخام السعودي الى مختلف أقطار العالم .



المؤكد وجودها في المكامن تحت الأرض والممكن استخراجها في المستقبل بالوسائل الاقتصادية المستخدمة حالياً .

اما الآخر فهو الاحتياطي المرجح وجوده – (Probable Reserves) وهي كميات الزيت والغاز التي يرجح وجودها ويحتمل استخراجها في المستقبل .

وعلى سبيل المثال يقدر احتياطي الزيت الخام المرجح وجوده في مناطق امتياز شركة ارامكو في المملكة العربية السعودية في نهاية عام ١٩٧٣ بحوالي ١٦٤ ٥٢٠ مليون برميل، منها ٩٦٩٢٢ مليون برميل احتياطي ثابت وجوده .

الزيت المتخلف

RESIDUAL OIL

هو الزيت الثقيل المتبقي او الرواسب المتخلفة بعد تكرير الزيت الخام وانتاج البنزين والكيروسين وزيت الوقود المستعمل في التدفئة المنزلية وغير ذلك من المشتقات الخفيفة الأخرى . وهذا الزيت المتخلف يستعمل كوقود للسفن ومعامل توليد الكهرباء وبعض مرافق الصناعة الثقيلة الأخرى كصناعة الحديد او الفولاذ .



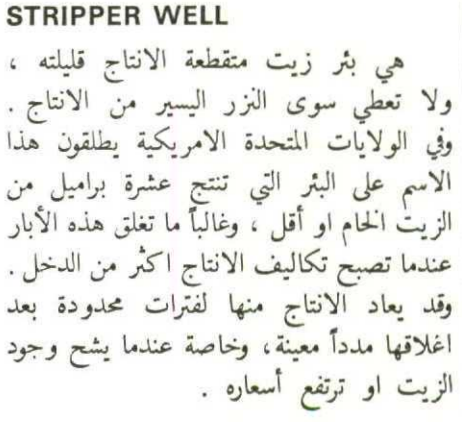
التركيز

STABILIZATION

هي عملية ازالة غاز كبريتيد الهيدروجين من الزيت الخام المر . وتتم هذه العملية في معامل التركيز .

بئر نضوض

STRIPPER WELL

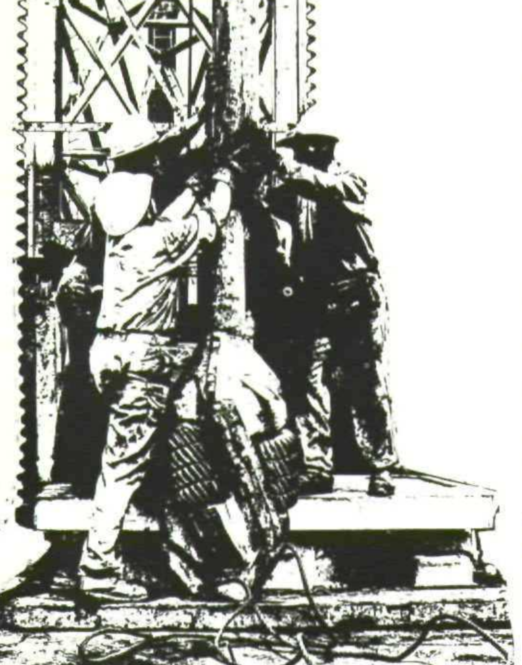


هي بئر زيت متقطعة الانتاج قليلته ، ولا تعطي سوى النزر اليسير من الانتاج . وفي الولايات المتحدة الامريكية يطلقون هذا الاسم على البئر التي تنتج عشرة براميل من الزيت الخام او أقل ، وغالباً ما تغلق هذه الأبار عندما تصبح تكاليف الانتاج اكثر من الدخل . وقد يعاد الانتاج منها لفترات محدودة بعد اغلاقها مدداً معينة ، وخاصة عندما يشح وجود الزيت او ترتفع أسعاره .

الموانئ الضخمة

SUPER PORTS

مرافئ بحرية كبيرة فيها مرافق قادرة على استقبال الناقلات الضخمة لشحنها بالزيت او تفريغها منه او للغرضين معاً . وقد اصبحت



معظم البلدان المستهلكة للزيت بكميات كبيرة تمتلك هذا النوع من الموانئ وخاصة البلدان الأوروبية واليابان .

الناقلات العملاقة

SUPER TANKERS

انها ناقلات ضخمة تنقل الزيت الخام عبر المحيط من البلدان المنتجة الى البلدان المستهلكة . وتعتبر الناقلة من هذا النوع اذا كانت حمولتها ١,٥ مليون برميل او أكثر . وقد ساعدت الناقلات العملاقة في تخفيض نفقات نقل الزيت . هذا وتبلغ حمولة أكبر ناقلة زيت عاملة في المحيط في الوقت الحاضر ، ما يقارب نصف مليون طن ، أي حوالي ٣,٥ مليون برميل .

طاقة التكرير

REFINING CAPACITY

هي كمية الزيت الخام والمواد البترولية الأخرى التي يمكن ان تضخ الى معمل التكرير ، أو



فرضة الجعيمة في الخليج العربي وقد بدت في أقصى الصورة احدى الناقلات الضخمة بعد أن شحنت بالزيت السعودي الذي تنتجه أرامكو

المصفاة ، وتكرر فيه خلال مدة زمنية محددة . ويعبر عنها عادة بعدد محدد من البراميل في اليوم الواحد اي ٢٤ ساعة .

بئر استكشافية
WILDCAT WELL

بئر تحفر في منطقة لم يسبق ان عثر فيها على زيت او غاز . وفي بعض الأقطار لا يعثر على الزيت بكميات تجارية الا في بئر واحدة فقط من بين كل ٤٥ بئراً تحفر .

منصة حفر بحرية
MARINE DRILLING PLATFORM

جهاز حفر بحري عائم تحمله منصة واسعة تسحب الى مكان الحفر في المناطق المغمورة . وقد طورت هذه المنصات بحيث أصبحت مساحتها تضاهي مساحة ملعب لكرة القدم ، وصار بالامكان حفر عدة آبار من منصة واحدة وفي موقع واحد ولكن بزوايا منحرفة عن قاعدة البرج . ومن منصات الحفر البحرية ما يمكن استخدامها في مياه يصل عمقها الى بضع مئات من الأمتار .

جزيرة اصطناعية
SEA ISLAND

هي عبارة عن بناء من القناطر والجسور المعدنية قد تمد من الشاطيء ، حيث المياه ضحلة ، الى داخل البحر حيث المياه عميقة لتناسب الناقلات الضخمة التي لا تستطيع أخذ حمولتها من فرض الشحن القريبة الغور ، او تقام في عرض البحر للغرض ذاته . وقد تمتد الجزيرة الاصطناعية بضعة كيلومترات وتتفرع منها أقسام هي بمثابة فروع لها ليصبح بالامكان تحميل عدد من الناقلات في آن واحد .

حقل مغمور
OFFSHORE FIELD

هناك حقول زيت على اليابسة — (Onshore Feilds)، واخرى في المناطق المغمورة . وهناك حقول تمتد في اليابسة وفي البحر كما هو الحال في حقل السفانية بالمملكة العربية السعودية ، الذي يعتبر أكبر حقل مغمور في العالم . ويقدر الخبراء ان العالم سيحصل على حوالي ثلث حاجته من الزيت الخام من البحار مع نهاية العقد الحالي .

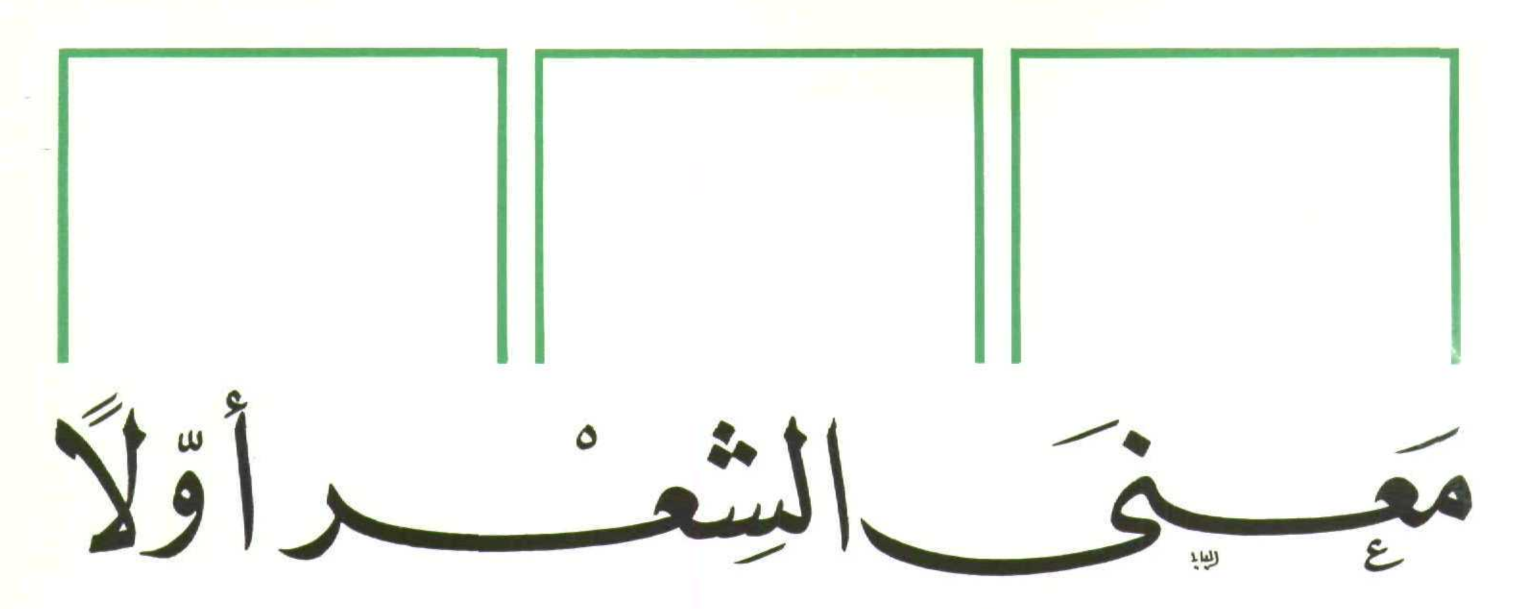
ساحة التخزين
TANK FARM

مجموعة خزانات ضخمة متفاوتة السعة . وتكون في الغالب ، قريبة من موانيء الشحن في البلاد المنتجة للزيت ، ومن موانيء التفريغ في البلاد المستهلكة وتكون ايضاً على مقربة من معامل التكرير . ومما يذكر ان بعضاً من هذه الخزانات قد يستوعب ١,٢٥ مليون برميل من الزيت الخام .

المسح السيزموغرافي
SEISMIC SURVEY

عمليات مسح اولية تقوم بها مجموعات من المهندسين والفنيين لمعرفة مدى احتمال العثور على الزيت في المناطق التي يجري فيها التنقيب . ويمكن اجراء هذا المسح في المناطق البرية والبحرية على حد سواء . ويتم ذلك باجراء تفجيرات تحت سطح الأرض تحدث موجات صدمية . ثم تقاس هذه الموجات ، المرتدة عن الصخور الصلبة في باطن الأرض ، بواسطة اجهزة خاصة تساعد على معرفة شكل التركيبات الجيولوجية ونوعها في تلك المنطقة ■

اعداد : ابراهيم أحمد الشنطي — هيئة التحرير
عن مجلة « ذي لامب »



معنى الشعر أولاً

بقلم : الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

معنى الشعر في الاصطلاح العربي القديم

الأدباء والنقاد والعروضيون العرب القدماء يعرفون الشعر بالكـلام الموزون المقفى .

فتراهم يغفلون العناصر الفنية – غير الوزن والقافية – . . وقد توجد لهم كلمات يعرفون فيها الشعر بعناصر فنية غير الوزن والقافية . . بل ربما اغفلوا هذين المصدرين . . الا ان هذه الكلمات لم يتعمد – بالبناء للمفعول – بها التعريف المانع الجامع . وذلك كقول الجاحظ : « الشعر صياغة ، وضرب من التصوير » .

ومنذ الآمدي بدأ النقاد يضيفون الى الوزن والقافية عناصر فنية في تعريفاتهم وأوعبهم في ذلك ابن خلدون .

وهم متفقون على ان الشعر لا يسمى شعراً حتى يكون موزوناً مقفى لأنهم لم يجدوا للعرب شعراً غير موزون . . او غير مقفى .

معنى الشعر في النقد العربي القديم

كتب البلاغة والنقد الأدبي العربي القديم تستبعد من الاعتبار ما اسمته في التعريف شعراً . . ولهذا نقول :

ان العرب في تعريفهم للشعر : جمعوا ولم يمنعوا . أما انهم لم يمنعوا فلأنهم اعتبروا الموزون المقفى شعراً . . والواقع أنه ليس كل منظوم وموزون شعراً . . وأما انهم جمعوا فلأنهم اعتبروا كل موزون مقفى شعراً ولكنهم من ناحية النقد لا ينطلقون عن تعريفهم هذا ! ، لأنهم اشترطوا للشعر مقومات ان تخلفت لم يصبح شعراً ، وان كان موزوناً مقفى ، وانما يكون نظماً ، وموضوع هذه المقومات الكثيرة عناصر العمل الأدبي من خيال وعاطفة ومعنى وشكل اعتبروها مقومات في نقدهم . . ولم ينصوا عليها في تعريفهم .

لهذا نقول ان حقيقة الشعر عند العرب غير تعريفهم له .. لأن تعريفهم جامع غير مانع .

وقد منعوا في نقدهم ما اعتبروه في تعريفهم .

ولو اردنا ان نعرف الشعر بناء على ما هو معتبر عندهم في النقد دون ما هو متفوه به عندهم في التعريف لأعوزنا ذلك ، لأن النقد – حتى اليوم – مدارس لم يتواضع باجماع على واحد منها .

فثمة الناقد الذاتي . . وثمة الناقد الموضوعي . . وثمة الناقد اللغوي . . الخ .

فعلى اي هذه المذاهب النقدية سنعرف الشعر ؟ ! حسبنا القول بأن تعريف العرب للشعر غير اعتبارهم له . وبأن للشعر عند العرب مقومات راعوها في ذلك الاعتبار ! .

معنى الشعر في الاصطلاح الحديث

جمهرة الغربيين واكثر المعاصرين من العرب يعرفون الشعر بعناصر ومقومات من بينها الوزن والقافية . . كقول (ستدمان) : « انه اللغة الخيالية الموزونة » . او بعناصر ليس من بينها الوزن والقافية . . كقول (رسكن) : « انه ابراز العواطف النبيلة بطريق الخيال » بل ان بعضهم يغمغم بما لا يتحصل منه شيء نعرف به الشعر كقول نزار : « انه الرقص بالكلمات » .

وكقول (مس شتاين) : « فالشعر هو الشعر هو الشعر » ! ! ويقول ثالث : « هو المحاولة الخالدة للتعبير عن الأشياء ! » .

معنى الشعر في حقيقة المنطق

ان للشعر أكثر من اعتبار عند نقاد العرب القدماء ، ونقاد الغرب والنقاد المعاصرين . ولسنا نريد ان نعرف الشعر عند كل أهل مذهب نقدي ، وانما نريد تعريف الشعر باجمع صفاته تعريفاً يدين له كل أحد . وذلك هو التعريف المنطقي .

وقبل التعريف الصحيح فلا بد من صحة التقسيم ، ولهذا أقول :

الشعر ضرب من الكلام . . والكلام قسمان : شعر . . وغير شعر ، أو كلام فني . . وكلام عادي . والشعر او الكلام الفني قسمان : شعر منظوم ، وشعر منثور أو فن منظوم وفن منثور .

فالوزن والقافية لتحديد المنظوم من الشعر ،

وليس لتحديد الشعر من الكلام .

والشعر بقسميه المنظوم والمنثور ما توفرت له جميع المقومات المقننة في علم الجمال سواء أكانت تتعلق بلغة الشعر وموسيقاه ، أم بمضمونه.

وهذه المقومات لا يجوز الانقسام فيها بحيث تكون مذاهب نقدية وانما يجوز الانقسام فيها بحيث تكون حالات لا مذاهب . فللشاعر في شعره حالات يريدها من نفسه او يريدها منه غيره .

فقد يتعشق الشاعر الجمال الفني في الوصف– لمجرد الوصف – فنطرب لصورته المرتبطة بخياله وعقله دون عاطفته ، فنحكم في نقده مقومات الخيال وصحة المعنى . ولا نلومه ألا يكون عاطفياً . وقس على ذلك اكثر صور ابن المعتز ، وقد يتعشق الجمال الفني في الوصف لا لمجرد الوصف ، بل للتعبير عن حالة شعورية كما فعل المطران في قصيدة المساء ، فنتسامح معه في مقومات الخيال ونحكم فيه مقومات العمل العاطفي .

وحينئذ لا يجوز أن نقول : البحتري وعلي محمود طه اشعر من أبي العلاء وابراهيم ناجي لأنهما يحسنان موسقة الألفاظ.. ولا يجوز ان نعكس ، لأن أبا العلاء عاطفي صادق في حكمته ، وابراهيم ناجي عاطفي صادق في تغزله ، بل كل من هؤلاء شاعر في مجاله وكل واحد نقيمه حسب حالته .

ولابراهيم العريض كتاب في هذا المجال اعتبره بداية ناقد في معالجته للموضوع . ولكنه جيد في فكرته ، لأنه جعل للشاعر حالات ، فهو مرة مثالي ، ومرة خطابي ، ومرة تحليلي ، ومرة مؤرخ ، ومرة تصويري ، مرة غنائي .. الخ .

اذن فاننا ننقد الشاعر ، ناظماً او ناثراً وفق حالته التي ارادها لنفسه ، او ارادها منه غيره .

وانني بهذا التعريف والتقسيم احدد الشعر العربي . لكن كيف يعتبر هذا تعريفاً للشعر العربي .. والعرب لا يسمون النثر شعراً ؟ .. ولإزالة هذا الاشكال ولكي احترز لهذا التعريف– فلا بد من وضع الملامح التالية :

اولاً : انني اعرف حسب مراد العرب وليس حسب كلامهم ، وليس من مرادهم ان يكون كل منظوم شعراً ، بل للشعر مقومات غير النظم .

ثانياً : لا مانع من تخصيص من ينظم الشعر باسم الشاعر ، وان كان الشعر يجب أن يطلق على النثر الفني لأنه لا مشاحة في في الاصطلاح .

ثالثاً : ان مدلول شعر لغة ليس هو الوزن والقافية وانما هو لصيق بمقومات العمل الأدبي ، فصح ان الشعر غير الوزن والقافية . وانما الوزن والقافية قالب لنوع من الشعر .. هو الشعر المنظوم .

رابعاً : ان تلك المقومات ، غير الوزن والقافية ، توجد في غير المنظوم فتعتبر عملاً أدبياً فنياً تدل على ان الفن جهة القسمة الكبرى التي يلتقي فيها الشعر المنظوم والشعر المنثور .

خامساً : هذه المقومات غير الوزن والقافية هي التي اعتبر بها المنظوم شعراً واعتبر بها المنثور فناً لهذا جعلنا الشعر مرادفاً للفن .

سادساً : من ناحية اللغة والواقع فلا غرابة في تسمية المنثور شعراً لأن ارتباط المنظوم بالشعور هو نفس ارتباط المنثور بالشعور اذا توفرت المقومات واستبعد جانب الوزن والقافية .

سابعاً : ان مهمة الوزن والقافية تحديد النظم من النثر ، وليس مهمتها تحديد الشعر من اللاشعر لأن الارتباط بالشعور – كما قلت – موجود في النظم والنثر ، الا انه مرهون بالمقومات التي من أجلها سمينا الكلام شعراً .

ثامناً : ان استغراب تسمية المنثور شعراً لا ينبعث من الواقع والحقيقة اللغوية وانما ينبعث من مخالفة العرف الذي توالت عليه الأحقاب ، فلو سمى الناس الأسد حماراً الف سنة ثم جاء من يردهم الى التسمية الصحيحة وهو ان الحمار حمار لاستغرب ذلك لأن التخلص من عرف مئات السنين صعب ولهذا اقول : ان تسمية المنظوم شعراً وتخصيصه بهذا حيف على النثر الفني وانما نسلم بالتسمية عرفاً لا حقيقة .

تاسعاً : لا ارتباط بين معنى وزن وقافية وبين معنى شعر من ناحية اللغة حتى نقول ان المراعى في تسمية النظم شعراً مدلول شعر لغة المرتبط بمعنى النظم . وانما سمى المنظوم شعراً دون العمل الفني المنثور لأن الفني المنظوم الصق بالشعور فالمراعى في هذا التخصيص – في تسمية النظم شعراً – التغليب . لا الواقع .

عاشراً : وجه ارتباط العمل الفني بالشعور : أن تعريف الجمال – على أصح النظريات – هو البهجة ، والجميل ما اثار البهجة والسرور في النفس ، ويريدون بالنفس القلب الذي هو محل العواطف والشعور والانفعالات . والأشياء التي تثير البهجة كثيرة تختلف حسب الأعصار والأمكنة .. ومنها ما يكاد يكون متفقاً عليه كالكمال والنظام . وعنصر النظام الكامل لا يوجد في النثر ، لذا كان المنثور اشد اثارة للبهجة .

الحادي عشر : حين نؤمن بأن كل تلك المقومات للعمل الفني حق لا يجوز فيه الانقسام الى مذاهب وانما ينقسم فيها النقد حسب الحالات فاننا نعني عنصراً واحداً مشتركاً نشترطه لاعتبار العمل الفني ، بل نشترطه في تسمية العمل فناً او شعراً . وذلك العنصر هو (الشعور) وليس هذا الشعور ما يسميه العقاد ومدرسته المتمثلة في سيد قطب وانور المعداوي بالتجربة الشعرية . فالمتنبي يبلغ قمة فنه في رثاء اخت سيف الدولة وان لم يتقرح جفنه ولم يحس بأدنى لوعة . انما نريد بالشعور تلك البهجة التي تحدث في قلب السامع . وتلك البهجة هي قيمة الجمال .

المقومات التي تجعل الكلام شعراً أو العناصر الفنية

أقول مرة ثانية لا غرابة في تسمية الكلام الفني شعراً ، لأنني ممن يعتقد بأن مهمة الكلام الفني المتعة (الجمال) (١) ومهما انطوى الكلام الفني على حقيقة منطقية او قيمة خلقية فان ذلك غير مقصود في الكلام الفني وانما جاء بالتبع . . ومن كان جاداً في استخلاص الحقيقة المنطقية لا يطلب منه متعة فنية . فان فعل فذلك جمع بين الحسنيين عند الفنان ، وربما تأذى المنطقي بتنميق لغة المنطق وربما تأذى بخيال الشعراء في معالجة الأمور وعرضها .

والنقاد الذين يدرسون الكلام الفني لا نعتبرهم نقاداً فنيين الا اذا انطلقوا عن مبادىء وقيم جمالية لأن الشعر فن جميل . أما من عدا ذلك فقد يكون عالماً نفسياً او مؤرخاً او شارحاً او لغوياً او مربياً اخلاقياً يطالب الشاعر بلغة قومه واهداف قومه .

الناقد الفني هو الذي يدرس الفن في الكلام ويستخلص قيمه الجمالية حتى لو كانت من شعر بودلير ونزار ! ! .

وربما قال لبودلير : لقد كفرت بانسانيتك .

وربما قال لنزار : لقد كفرت بكرامة المرأة .

ولكنه لا يستطيع ان يقول لواحد منهما : لقد كفرت بالفن . . لأنهما فنانان بلا مراء .

وما دام الغرض من الكلام الفني الجمال (المتعة) فلا يغرب عن البال ان للجمال قواعد ومقاييس استنبطها العقل ورتبها ولكن استفتى فيها قلوب الأجيال ، لأن كل النظريات في تعريف الجمال حتى النظريات الموضوعية التي ترى ان جمال الأشياء قائم خارج الذات ، تؤمن في النهاية بأن الجمال لا يعرف بشخصه وانما يعرف بآثاره ، وهو شعور القلب بالغبطة والبهجة .

ولقد درست نظريات الجمال وتعريف الناس له وربطت ذلك بالمدلول اللغوي لمادة جميل وحسن في لغتنا فترجح لي ان الجميل كل مبهج ممتع . . وان الجمال هو البهجة والمتعة التي تحدث في نفوسنا .

فالشعور بالمتعة محله القلب والكلام الفني لا يكون فنياً حتى يشعر بالمتعة لهذا سميناه شعراً وان كان نثراً .

وحينما نخصص النظم بالشعر ونحيف على النثر فلا نسميه شعراً فانما نتقيد باصطلاح الأجيال ولا مشاحة في الاصطلاح . ومتعة القلب شعور لا نستطيع تصويره وتقسيمه وانما نستطيع الاهتداء اليه بعلامات فنرى ان الموسيقى تثير فينا بهجة غير البهجة التي يثيرها منظر خلاب وانما يميز بين البهجتين الحس الباطني .

اما اللغة فتميز البهجتين بالاضافة الى بهجة الموسيقى وبهجة الصورة .

وعلامات الجمال كثيرة وانما نشير الى بعض علامات تميز لنا جمال الكلام الفني . فمبدأ الوحدة والتنويع مقياس جمالي نجده في معنى الكلام الفني كاشتراط حسن الارتباط بين المعاني واشتراط ائتلاف المعنى مع اللفظ وائتلاف الوزن مع المعنى وائتلاف المعنى مع القافية .

ونجد مبدأ الوحدة في الفاظ الكلام الفني وذلك هو شرط النقاد في الفصاحة كتلاؤم الأصوات وتحاشي التنافر ببعد المخرج او قربه .

جماع العناصر الفنية في الكلام الفني

ليس غرضي هنا ان ابسط قواعد النقد الفني (الجمالي) وانما اكتفي بالاشارة الى ان الشعر — نظماً ونثراً — لا يكون شعراً حتى يحقق ما يحققه احد الفنون الجميلة الثلاثة :

١ — الموسيقى ٢ — التصوير والرسم
٣ — الرقص

لأن هذه الفنون تحقق الشعور بالجمال في القلب . فان اكتملت الموسيقى في الكلام الفني أصبح شعراً منظوماً حسب المعنى المنطقي الذي رجعنا اليه في تقسيم الكلام . او اصبح شعراً حسب اصطلاح عباد الله في تقسيم الكلام الى نثر وشعر .

فان ضعفت الموسيقى في الكلام الى حد التحرر من الوزن والقافية لم يجز أن يسمى نظماً .

ولم يجز ان يسمى شعراً حسب اصطلاح الأجيال ، وهو شعر بالنظر الى أمور غير الوزن والقافية . ومحل الموسيقى الفاظ الكلام واوزانه وتركيبه .

ويحقق الكلام الفني ما يحققه الرسام ومكان ذلك معاني الكلام وموسيقاه ايضاً لأن الموسيقى تكون تصويرية .

والكلام الفني له عنصران :

الشكل : وهو اللفظ والوزن والأسلوب ، ويدخل فيه تحلية البديع .

المعنى : أ — الخيالي ب — العقلي
ج — العاطفي .

وفي كل عنصر قيمة جمالية .

وبالرجوع الى المصادر تستطيع ان تستخلص ما شئت من القيم الجمالية التي يسمونها النقد الجمالي او الأسس الجمالية ، وكأن هناك للشعر نقداً غير الجمال ، وعندي ان نقد الشعر هو النقد الجمالي فقط . واسس نقد الشعر هي الأسس الجمالية فقط ، وما عدا ذلك فلا يتعلق بالكلام الفني من حيث انه فن .

ويحقق الكلام الفني ما يحققه الرقص من متعة ومحل ذلك الكلام العاطفي لأن عواطف المتيمين من الشعراء تثب بالقلوب وترقصها . وكذلك موسيقى الكلام تكون مرقصة .

فالكلام الفني موسيقى وتصوير ورقص . . وتلك هي الفنون الجميلة . . وانما سميت جميلة لأن الجمال شعور القلب بالمتعة .

لذلك سمينا الكلام الفني شعراً . . وان لم يكن نظماً ! ■

أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري — الرياض

---

(١) لا يعني هذا ايماني بأن الفن للفن . . بل انني ارى ضرورة الغائية في الأدب الا ان هذا من وجهة نظر منطقية ، وليس هو من وجهة نظر فنية .

حــول مؤتــمر رســالــة الجـامعــة



معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعات يتصدر حفل افتتاح مؤتمر رسالة الجامعة الذي عقد بمقر جامعة الرياض بالملز ، وقد جلس الى يمينه معالي الدكتور عبد الله الفدا مدير جامعة الرياض والى يساره سعادة الدكتور محمد الأحمد الرشيد ، وكيل كلية التربية ورئيس لجنة المؤتمر .

تمتـع المملكة العربية السعودية بمركز مميز بين الأقطار العربية ، ذلك أنها مهبط أعظم رسالة جاءت الى الناس كافة ، ومنها انطلقت الدعوة الاسلامية فعمت أرجاء واسعة من العالم . وقد حبا الله المملكة بثروات وفيرة من شأنها أن تسهم بشكل فعال في النهوض بها في مختلف حقول العلم والتكنولوجيا الحديثة التي هي سمة من سمات العصر الذي نعيش فيه . كما هيأ الله لها من أبنائها البررة رجالا مخلصين عاهدوا الله على العمل الدائب كي تتبوأ المملكة المكانة اللائقة بها بين الأمم ذات الحضارات العريقة وكمركز اشعاع للثقافة الاسلامية والتراث الاسلامي . وقد أخذت الدولة على عاتقها تأهيل العديد من أبنائها في جامعات محلية تكون على درجة عالية من الكفاءة العلمية فأنشأت الجامعات والمؤسسات العلمية والتكنولوجية في أنحاء متفرقة من المملكة هدفها تهيئة أجيال جديدة من أبناء المملكة وتأهيلهم للمشاركة في مختلف نواحي التقدم الذي تعيشه المملكة في عصرها الحالي .

وانطلاقا من هذه الرغبة الصادقة دعت جامعة الرياض ، الجامعة الأم في المملكة العربية السعودية ، الى عقد مؤتمر رسالة الجامعة . واستمر انعقاد المؤتمر من ١١/٢ الى ١١/٥ ١٣٩٤هـ ، دعت اليه الجامعات والهيئات التعليمية والوزارات والهيئات الأخرى في المملكة . وكان الموضوع الرئيسي للمؤتمر هو « رسالة الجامعة في المملكة العربية السعودية » . وتتفرع من هذا الموضوع الرئيسي ستة موضوعات ، تختص بكل موضوع منها حلقة خاصة للمناقشة مرتبطة كل الارتباط بالموضوع الرئيسي ، وهذه الموضوعات الستة هي :

- **التعليم الجامعي : خططه ومناهجه والأسس التي يقوم عليها .**
- **التفاعل بين الجامعة وهيئات الدولة ، ودور كل منها في دعم الآخر .**
- **دور الجامعة في حفظ التراث الاسلامي والحضارة العربية .**
- **دور الجامعة في التنميـة الاقتصادية والاجتماعية .**
- **دور الجامعة في التقدم العلمي والتقني في مختلف المجالات .**
- **دور الجامعة في تطوير الفكر التربوي واعداد المعلمين ورجال التربية .**

هذا وقد وضعت لكل حلقة ورقة عمل للاسترشاد بها في تنظيم المناقشة حرصا على صيانة الوقت والخروج بتوصيات محددة ، كما اختير أعضاء لكل حلقة لمناقشة ورقة العمل التي زودت بها وبعض البحوث التي تتعلق بالموضوعات كل فيما يخصه وذلك للمساعـدة في اعداد التوصيـات اللازمة والاسترشاد بها .

نبذة عن جامعة الرياض

أنشئت « جامعة الرياض » في عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) وكانت نواتها في ذلك الحين كلية الآداب وقد باتت اليوم تضم ثماني كليات للآداب ، والهندسة ، والتجارة ، والصيدلة ، والزراعة ، والتربية ، والعلوم ، والطب . وقد بلغ عدد طلابها خلال العام الدراسي ١٣٩٤–





شارك في الندوة أربعة من معالي الوزراء وهم: معالي الشيخ أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية، ومعالي الشيخ عبد العزيز القريشي محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي ، ومعالي الشيخ محمد أبا الخيل وزير الدولة للشؤون المالية والاقتصاد الوطني ، ومعالي الأستاذ هشام ناظر وزير الدولة ورئيس الهيئة المركزية للتخطيط الى جانب معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الفدا مدير جامعة الرياض .

١٣٩٥هـ ٥٠٣٤ طالبا . وتعمل الجامعة منذ انشائها على تنمية الملكات الفردية وصقلها وتهذيبها واعدادها بالطرق العلمية الحديثة للمشاركة في مختلف الحقول التي تحتاجها المملكة . كما تحرص دوما على المحافظة على التراث الاسلامي وجمعه ورعايته وتطوير العلوم التكنولوجية ، وهي بذلك تعتبر بمثابة الأم لجميع الجامعات في المملكة .

الجامعات والهيئات التعليمية الأخرى المشتركة في المؤتمر

من بين الهيئات والمؤسسات التعليمية والأجهزة الحكومية التي شاركت في أعمال هذا المؤتمر ، وزارة المعارف ، والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الملك عبد العزيز ، وجامعة البترول والمعادن ، والرئاسة العامة لتعليم البنات ، ومعهد الادارة ، وكلية الملك عبد العزيز الحربية ، وكلية الملك فيصل الجوية ، وكلية قوى الأمن الداخلي ، وجامعة الامام محمـــد بن سعود الاسلامية بالرياض التي كانت تعرف سابقاً بالمعاهد والكليات .

كما دعي الى الاشتراك في أعمال هذا المؤتمر الوزارات والهيئات التالية : الحرس الوطني ، ديوان الموظفين العام ، رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، رابطة العالم الاسلامي ، الغرف التجارية والصناعية بالمملكة ، المؤسسة العامة للبترول والمعادن « بترومين » ، مركز الأبحاث والتنمية ، مصلحة الأشغال العامة ، الهيئة المركزية للتخطيط ، وزارة الاعلام ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، وزارة التجارة والصناعة ، وزارة الحج والأوقاف ، وزارة الدفاع ، وزارة الزراعة والمياه ، وزارة الصحة ، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، وزارة المـــالية والاقتصاد الوطني ، ووزارة المواصلات .

هذا وقد بلغ عدد أعضاء الوفود التي شاركت في أعمال المؤتمر ٢٥٥ عضوا ينتمون الى مختلف الجامعات والهيئات المختلفة في المملكة ، وبلغ عدد الأعضاء الذين شاركوا في أعمال الحلقات الست ٢٢٣ عضوا .

أهداف المؤتمر

يهدف المؤتمر ، كما قال معالي الدكتور عبد العزيز الفدا ، مدير جامعة الرياض ، الى تحقيق ما تصبو اليه الجامعة من أداء أفضل الخدمات للمجتمع ، وتطوير أساليبها في خدمته واستجابتها لحاجاته ومتطلباته ، كلما تجددت ونمت هذه الحاجات وتلك المتطلبات ، وسيكون المؤتمر وقفة لمحاسبة النفس ومراجعة الأساليب وللتطلع الى أداء أفضل وخدمات أعم وأشمل على أحدث النظم وفي أرقى المستويات ما أمكن ، ويهدف المؤتمر الى ايجاد وسائل للتغلب على الصعوبات وتقوية عرى الروابط التي تربط الجامعة بالمجتمع .

ثم ألقى كلمة افتتاح المؤتمر معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعات ورئيس المؤتمر بقوله : « حيثما تكون جامعات يكون الحديث عن دورها ورسالتها ، فمن قائل أنها تسعى الى ايجاد طبقة من الرجال يمتلكون

القدرة على البحث والحوار والتفاعل مع واقعهم ، وينطلقون بعد الفراغ من اعدادهم الى الاسهام بكفاءة في النهوض بالمجتمع والتأثير فيه بعد أن يكونوا قد حققوا أشكالاً لا حصر لها من الوان الحوار واللقاءات مع المؤسسات والأفراد للتعرف على احتياجاتهم وأهدافهم والوان التغيرات التي يشتملها مجتمع نام ليسير الى أهدافه المرسومة بفعالية وعزيمة » . ثم استرسل معاليه قائلا : « وجامعاتنا على اختلاف تخصصاتها ومنطلقاتها جامعات عقائدية لا يمكن أن تتخلى عن قاعدتها وهي اثراء رسالة الاسلام التي حاربها أعداؤها ، وتنكر لها الكثير من أبنائها ، فلا مكانة لدراسة لا تعتمد على الاسلام دينا ، ولا تلتزم به مسلكا ، ولا تخلص له مبدأ » .

« تلك هي سياسة هذه الدولة المسلمة فمن كان معها على لقاء ومع أهدافها على موعد فأهلا به ، ومن لم يكن كذلك فله في عرض الأرض وطولها متسع ومنطلق . وجامعة الرياض الجامعة الأم في بلادنا الحبيبة مشكورة اذ تتبنى مثل هذا المؤتمر الهام ، وهي اذ تفعل ذلك انما تبرهن في جلاء عن مدى فعاليتها وتجاوبها في العمل لتحقيق الأهداف الغالية التي قامت عليها سياسة بلادنا الحبيبة ودافع عنها في ايمان واخلاص قائدها الغالي » .

شكر معاليه باسم جامعة الرياض كل المستجيبين لدعوتها والمتعاونين مع مؤتمرها العاملين على رفعة الجامعات في المملكة حتى تتمكن من تأدية رسالتها على الوجه الأكمل والوصول بها الى أرقى المستويات ضمن اطار التعاليم الاسلامية السمحة .

ثم القى معالي الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الله الفدا ، مدير جامعة الرياض كلمة جامعة تساءل فيها عن مضمون رسالة الجامعة ، وأبان أن الخلافات في الرأي ان كانت من خارج الجامعة أو من داخلها انما تمليه علينا طبيعة مسالكنا في الحياة وقال : « ولا شك أن الجميع ، وان اختلفوا ، يتفقون على أن الهدف العام للجامعة هو خدمة المجتمع الذي تمثل جزءا منه ، ولكن اختلاف وجهات النظر يأتي في كيفية تحقيق هذا الهدف وفي المقياس الذي يقاس به نجاح الجامعة في أداء عملها أو اخفاقها فيه . وقال ، ان البحث وتطوير المعرفة هما هدف الجامعة وما يستفاد بعد ذلك من تحقيق الجامعة لهذا الهدف انما هي أمور تعتبر من الحسنات التي تضاف الى حسنات الجامعة .

وهذا المؤتمر محاولة جادة نحو تحديد رسالة الجامعة تحديدا نرضاه جميعا بعد أن نقنع بأن فيه باذن الله ما يعين الجامعة على أداء دورها في مجتمع كمجتمعنا وبلد كبلادنا ، أمن واستقرار وخير وتطلع غير محدود نحو التقدم والرقي ، وهو محاولة لادراك ان مسؤولية أداء هذا الدور انما تقع علينا جميعا فالانتاج لا غنى له عن دعم صادق .

لا شك أنكم تعلمون أن كلمة «جامعة» في هذا المؤتمر لا تعني جامعة بعينها وانما تعني مؤسسات التعليم العالي جميعها في المملكة . ونحن مطمئنون الى ايجابية المشتركين وموضوعيتهم والى نظرتهم الواقعية واهتمامهم ، ولا غرو في هذا فنحن جميعا متضامنون في المسؤولية أمام الله وأمام المؤمنين ، ونحن جميعا نسعى ونجتهد في خدمة ديننا ومليكنا ووطننا » .

ثم تحدث الدكتور محمد الأحمد الرشيد رئيس لجنة المؤتمر ووكيل كلية التربية بجامعة الرياض فأشاد بالجهود البناءة التي بذلت في سبيل انجاح هذا المؤتمر من قبل الجامعات والهيئات التعليمية والوزارات والمؤسسات ووسائل الاعلام وسائر الأفراد والجهات التي دعيت للاسهام في المؤتمر وأشار الى أن تجاوبها كان مدعاة للفخر والاعتزاز .

ثم اختتم الدكتور الرشيد كلمته شاكرا للمؤتمرين تجاوبهم وغيرتهم على وطنهم ، وجامعاتهم وكذلك على حرصهم الشديد للوصول بهما الى أرقى ما تطمع في الوصول اليه الأمم الراقية ، كما شكر جميع الأخوة الذين أسهموا في انجاح أعمال المؤتمر عن طريق تقديم بحوثهم ودراساتهم المتنوعة وجميع اللجان التي لم تأل جهدا في سبيل تأمين راحة المشتركين وتقديم كل عون لازم لهم .

وبعد انتهاء الاحتفال بافتتاح مؤتمر رسالة الجامعة قام معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعات ورئيس المؤتمر بافتتاح معرض رسالة الجامعة الذي اشتمل على معروضات مختلفة قدمتها الجامعات والهيئات التعليمية الأخرى التي شاركت في أعمال مؤتمر رسالة الجامعة . ومن بين الكليات والهيئات التي شاركت في هذا المعرض كلية الطب بجامعة الرياض حيث عرضت مختبرا خاصا بتحضير مركب « الراسيتنون » الذي يستخدم في علاج مرض البول السكري ، ومجموعة من الأرانب والفئران التي تخضع للتجارب الطبية التي تجريها الكلية . كما اشتمل جناح كلية الطب على متحف العقاقير المستخلصة من أنواع عديدة من النباتات النافعة لمعالجة عدد من الأمراض ، مثل زهرة الخردل ، وزهرة البابونج الألماني ، والأرجوت ، والسرجس ، وأوراق اللوريل التي يستخلص منها علاج طارد للأرق ، وأوراق السنا وتستخدم في استخلاص أنواع من المسهلات ، وثمار القطن وتستخدم في عمل ضمادات جراحية ، والهيل الحبشي وتستخرج منه أنواع من العطور ، وأوراق سن الحسن وتستخدم كمخدر موضعي .

أما جناح كلية الهندسة بجامعة الرياض فقد اشتملت معروضاته على أجهزة للتبريد والتكييف ومحركات وأجهزة للاحتراق الداخلي ، وأجهزة لقياس الذبذبات ، الى جانب مطرقة « شميدت » وماكينة اختبار الشد ، وأخرى لاختبار الجير ، وجهاز مقاومة التربة ، وجهاز الضغط غير المحصور ويستخدم في اختبار

أعضاء حلقة التنمية والتطوير أثناء زيارتهم لكلية الهندسة يستمعون الى شرح من أستاذ ورشة المخارط عن عملها وكيفية تشغيلها وطرق التدريس فيها .

عينات من التربة المتماسكة المحضرة تحضيرا خاصا وذلك لقياس تحملها لجهود الضغط ، وماكينة لمقاومة عوامل التآكل وتستخدم لاختبار مدى مقاومة مواد البناء من الحجارة والطوب وغيرها من لوازم البناء للتآكل بالاحتكاك حيث تتناسب مقاومة التآكل تناسبا عكسيا مع مقدار الجزء المتآكل أثناء الاختبار .

كما اشتمل معرض كلية الآداب على معروضات من تراث الفن الشعبي شملت ملابس وقدورا وأباريق نحاسية ومدقا للحبوب وغير ذلك من الأدوات والمعدات التي كانت تستخدم في العصور القديمة والتي أصبحت من التحف الشعبية النادرة .

أما كلية الزراعة بأقسامها المختلفة فقد اشتملت معروضاتها على خلية للنحل ومعلومات عن طرق تربيته واستخلاص العسل وأنواعه وعدد من ثمار المملكة كالتين والرمان والليمون والعنب والكمثرى والنارنج ، الى جانب معروضات تمثل الانتاج الحيواني والدواجن المختلفة كدجاج نيوهامبشير ودجاج اللجهورن والديك الرومي ودجاج هاي لاين والحمام الوطني ونموذج لاسطبل للأبقار . كما ضم جناح كلية الزراعة معروضات عن الصناعات الغذائية الممثلة في منتجات الألبان كالجبن والقشدة والزبدة واللبنة والشراب الصناعي والسمن البقري ومجموعة من المخللات والحلوى ، بالاضافة الى نماذج مختلفة من المعدات الزراعية كالحصادات ، والمحاريث ، والجرافات ، ونماذج من الحيوانات المصبّرة كالغزلان والثعالب والورل والضب والأفاعي والقنافذ والطيور الجارحة وطيور الزينة وكلها من الحيوانات التي تعيش في البيئة الصحراوية من المملكة العربية السعودية وكذلك أنواعا من المبيدات الحشرية .

ومن ناحية أخرى ، ضم جناح التاريخ الطبيعي التابع لجامعة الملك عبد العزيز نماذج وعينات من أسماك البحر الأحمر وأنواعا من المرجان المختلف الألوان ومجموعة من الطيور والحيوانات التي تعيش في المنطقة المحاذية للبحر الأحمر في المملكة والممتدة من أقصى الجنوب الى الشمال بالاضافة الى بعض الطيور التي تهاجر الى المنطقة في فصول معينة من السنة كالأوز والكروان وطائر الواق والقرود والنسانيس.

كما اشتركت الجامعة بعدد من الأطروحات التي قدمها أعضاء التدريس في الجامعة ، وبعدد من رسائل الماجستير الممنوحة من قسم الدراسات العليا بكلية الشريعــة للدراسات الاسلامية بالجامعة ، بالاضافة الى عرض أول عدد صدر من جريدة « أم القرى » بعد دخول المغفور له الملك عبد العزيز الحجاز ، ومن جريدة « بريد الحجاز » التي كانت تصدر أيام الشريف حسين في مكة المكرمة .

واشتمل جناح الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة على عدد من الدراسات الاسلامية والكتب الدينية بأقلام مجموعة من المدرسين في الجامعة ، ومجلة صوت الطلبة والمناهج والأدلة ومنشورات ومطبوعات صادرة عــن الجامعة بالاضافة الى عرض الاجازة العالية التي تمنحها الجامعة للمتخرجين .

هذا وكان من بين المعروضات التي شاركت بها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض رسائل الماجستير التي منحت لخريجي المعهد العالي للقضاء ورسائل الماجستير والدكتوراه التي منحت لأعضاء هيئة التدريس فيها وعدد من المطبوعات والأبحاث بأقلام الطلبة المنتظمين بالجامعة والتي حصل بموجبها الطلاب على درجة الليسانس من الجامعة بتقدير امتياز .

أما جامعة البترول والمعادن بالظهران فقد شاركت بعينات من الزيت الخام ومشتقاته من مركز اختبارات الزيوت بالجامعة الذي يقوم بعمل الفحوص والتحاليل اللازمة لمنتجات البترول المستهلكة محليا وذلك طبقا للمواصفات المطلوبة من قبل المؤسسة العامة للبترول والمعادن « بترومين » التي تتولى تسويق هذه المنتجات داخل المملكة . كما يقوم هذا المركز بتقديم الخدمات اللازمة للقوات الجوية العربية السعودية فيما يختص باجراء التحاليل والاختبارات اللازمة لوقود الطائرات .

كذلك قامت كلية العلوم بجامعة الرياض بعرض نموذج حي لأول مصنع لتصنيع الأدوات الزجاجية العلمية بالمملكة ، ويقوم هذا المصنع بانتاج الأجهزة العلمية من مكثفات وأنابيب اختبار وغيرها من الأجهزة العلمية الزجاجية ، ذات الأشكال والأحجام المختلفة . هذا وقد أمكن عن طريق هذا المصنع الاستغناء عن كثير من الأجهزة العلمية وأنابيب الاختبار التي كانت تستوردها المملكة من الخارج .

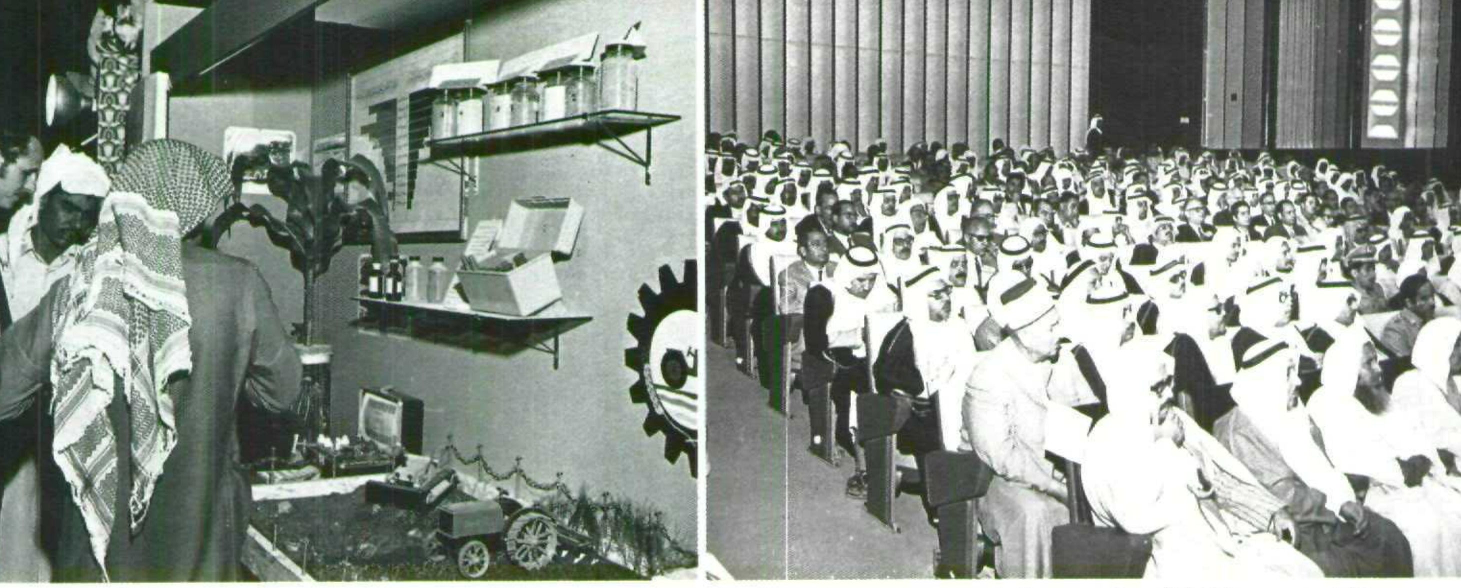
كما عرضت في المعرض بعض الآثار التاريخية التي عثر عليها في قرية « الفاو » بالربع الخالي ويرجع تاريخها الى القرن الثالث الميلادي .

وفي اليوم الثالث من أيام المؤتمر عقدت ندوة مسائية في مقر مبنى الجامعة اشترك فيها معالي الشيخ أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية ، ومعالي الشيخ عبد العزيز القريشي محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي ، ومعالي الشيخ محمد أبا الخيل وزير الدولة للشؤون المالية والاقتصاد الوطني ، ومعالي الأستاذ هشام ناظر وزير الدولة ورئيس الهيئة المركزية للتخطيط ، ومعالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الفدا مدير جامعة الرياض . وقد أدار المناقشة خلال هذه الندوة سعادة الدكتور عبد الله النافع وكيل جامعة الرياض . وقد شارك فيها أيضا عدد كبير من المفكرين والأدباء ورجال التعليم ، كما حضرها وزير التربية والتعليم في البحرين سمو الشيخ عبد العزيز بن محمد آل خليفة وسمو الأمير خالد بن فهد .

وقد ركز معالي الشيخ أحمد زكي يماني في حديثه على الثروة البشرية في البلاد بقوله : « ان الثروة الحقيقية لأي مجتمع ليست الثروات الطبيعية ولكنها العنصر البشري المتعلم » .



أعضاء حلقة التنمية والتطوير في زيارة لأحد المختبرات التي تضمها كلية الزراعة .



قاعة مؤتمر رسالة الجامعة تغص بالمدعوين من أنحاء المملكة .

نماذج مصغرة لجرافة ومحراث وعينات من التربة والنباتات كانت ضمن المعروضات في جناح كلية الزراعة .

وضرب بذلك مثلا عن اليابان حيث قال : « في دولة كاليابان حرمت من كل الثروات وملكت التكنولوجيا وشعبا متعلما فأصبحت من أغنى دول العالم » وأضاف « ان الجامعة هي المصنع الذي تخرج منه الثروة الحقيقية » .

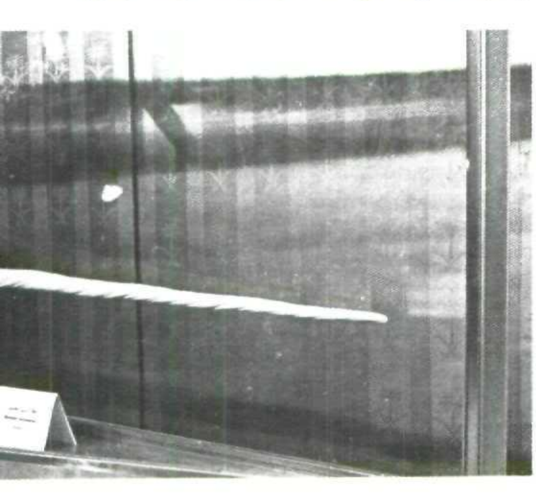
وتحدث معالي الأستاذ القريشي فقال : « يمكن أن نقول ان للجامعة أهدافا ومسؤوليات قد تكون بمجموعها رسالة الجامعة ، ومن أهم هذه الأهداف المحافظة على تراثنا القومي وحضارتنا وتاريخنا ونشر الوعي الثقافي بين شبابنا ، والتركيز على المبادىء التربوية الموجودة في ديننا الحنيف ، وتخريج جيل جديد معد اعدادا تخصصيا يسهم في بناء هذا البلد الاسلامي بناء لائقا بمكانته الاسلامية » .

ثم تحدث معالي الأستاذ هشام ناظر فقال : وأنا في طريقي الى هذا المؤتمر خطرت لي أربعة أسئلة لم أجد لها الاجابات الشافية وأرجو أن نجد الاجابة عليها في هذه الندوة ثم طرح الأسئلة التالية :

١ — هل الجامعة أداة يسيرها المجتمع حسب رغباته بصرف النظر عن هذه الرغبات وهي بالتالي تخدم أغراضا محددة ؟ ٢ — هل الجامعة وصية على المجتمع وهي بما لها من قيادات فكرية وعلمية وبما لها من اعتزاز العلم وثقته وغروره في بعض الأحيان تقوم بهذا الدور ؟ ٣ — هل هي مؤسسة تبحث عن الحقيقة بصرف النظر عما لو كانت هذه الحقيقة ترضي المجتمع ؟ ٤ — هل هي شيء من كل هذه العناصر تتفاوت نسبة كل عنصر فيه بظروف المجتمع وتقاليده وامكاناته المادية ؟

أما معالي الشيخ محمد أبا الخيل فقد قال : « ان الجامعة ، أية جامعة ، هي في الواقع مركز علمي مهمته كما أتصورها جمع معارف العصر الذي تعيش فيه والمساهمة في تطوير هذه المعارف بالتعاون مع بقية المراكز الأخرى باضافة شيء جديد الى هذه المعارف ونقلها الى الجيل الذي هي مسؤولة عن تعليمه، ونقلها مع قيم المجتمع الذي تعيشه الجامعة . وهذا يعطي الجامعة دورا قياديا اذا استطاعت أن تقوم به كما يجب » . ثم أضاف قائلا : « اننا نعيش في مجتمع مهم له قيمه ، وهو حريص على الاحتفاظ بها وتحقيق أكثر ما يستطيعه للتقدم في مجالات العصر التي يعيشها ، وان هذه البلاد بما حباها الله من امكانات لديها فرصة واسعة لتحقيق الشيء الكثير الذي نشعر جميعا بأننا جديرون بتحقيقه ان شاء الله » . واسترسل قائلا : « ان أكبر مشكلة تواجه هذه البلاد هي تطوير القوى البشرية ، وعلى الجامعة أن تسهم في هذا التطوير مع الحرص على أن تحتفظ هذه القوى البشرية بقيمها » .

ثم تحدث الدكتور عبد العزيز الفدا وقال : « ان أمام الجامعة ثلاثة مطالب ، مطلب طلاب الجامعة ، ومطلب أساتذة الجامعة ، ومطلب المجتمع الذي تعيش فيه الجامعة . ان الحديث عن الجامعة هنا لا يعني جامعة بعينها وانما التعليم العالي ، ومطلب الطلاب هو التنوع بقدر الامكان فيما يستطيع الطالب أن يدرسه ، ويجب أن لا نغفل الدافع الشخصي في الاتجاه الى تخصص معين . ومطلب الأساتذة من الجامعة هو أن تتيح لهم مجال البحث العلمي وأن تبذل كل ما تستطيع لتمكينهم من ذلك . ومطلب المجتمع يتغير بتغير الزمان والمكان . ومن متطلبات المجتمع أيضا ربط ماضينا بحاضرنا والاستعانة بدراسة الماضي والحاضر في التخطيط للمستقبل . والتأكيد على أننا مجتمع اسلامي وكل شيء يجب أن يبدأ من هنا ، وتنمية القدرات البشرية



من بين المعروضات النادرة في معرض رسالة الجامعة « كر
القرن نحوا من ثلاثة أمتار كان قد أهداه جلالة الملك



في يعمل أنواعا مختلفة من أنابيب الاختبار والمكثفات الزجاجية التي تقوم بانتاجها كلية العلوم بجامعة الرياض .

كان من بين معروضات كلية الملك فيصل الجوية المقعد القاذف الذي يستخدمه الطيار في الحالات الطارئة .



الكفيلة بتطوير مجتمعنا تطويرا شاملا الى جانب دراسة البيئة ومشاكلها وايجاد الحلول لهـا » .

هذا وقد ساد الندوة جو مفعم بالرغبة الصادقـة في النهوض بالجامعات والهيئات والمؤسسات التعليمية العالية في المملكة حتى تصل الى أرقى المستويات آخذين بعين الاعتبار ضرورة توفير القوى البشرية المثقفة والمتخصصة في مختلف مجالات العلوم والتكنولوجيا الحديثة، مع احتفاظ هذا الجيل والأجيال القادمة بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف . وقد طرحت في الندوة عدة أسئلة من قبل المدعوين حول رسالة الجامعة ونوقشت بصراحة وادراك للمسؤوليات الملقاة على عواتق رجال التعليم . وقد خرج المشتركون من ندوتهم يغمرهم الفخر والاعتزاز بالدور البناء الذي تلعبه الجامعات والهيئات التعليمية العالية في سبيل اعداد جيل متسلح بالعلوم التقنية يأخذ على عاتقه مهمة النهوض بالمملكة في مختلف المجالات، ويكون قادرا في الوقت نفسه على مواكبة النهضة الصناعية التي أخذت تعم أرجاء البلاد .

وفي اليوم الرابع أختتم المؤتمر حيث ألقى الدكتور محمود مسفر عميد شؤون الطلبة بجامعة الرياض ، كلمة استهلها بالترحيب بالحاضرين اذ قال : « وهكذا تمضي الأيام المحددة لمؤتمر رسالة الجامعة بعد نقاش علمي عميق منطلقه تعزيز العقيدة واطاره البحث عن الحقيقة ، هذا المؤتمر الأول من نوعه الذي نسأل الله عز وجل أن يجعل من توصياته ومقرراته منارات على الطريق تساهم في تعزيز مفهوم رسالة الجامعة لتواكب الجامعات مسيرتنا الناهضة تحت قيادة والدنا الفيصل الباني » .

ثم قرئت التوصيات التي توصل اليها المؤتمرون وقد بلغت ١٣٦ توصية شملت مختلف الجوانب ، ففي التوصيات الثماني الأولى جاء تحديد وظائف الجامعة وما يجب أن تعنى به من كون أن رسالة الجامعة تنبثق من العقيدة الاسلامية والتزام الجامعة بالاسلام عقيدة وفكرا واطارا للتربية والتعليم ، والعناية بتنمية شخصية الطالب وغرس القيم والمباديء الاسلامية فيه بما يحقق تكاملها جسميا وروحيا وفكريا واجتماعيا ، وان تعنى الجامعة بتكوين الشخصية الاسلامية القيادية ، والعناية بالبحوث العلمية وتطوير المعرفة الانسانيـة وتطويعها لخدمة المجتمع ، واعداد القوى البشرية، ونشر المعرفة عن طريق عقد المحاضرات والندوات والمؤتمرات حتى تكون منار هداية ومعرفة ، والعمل على خدمة التراث الاسلامي وذلك عن طريق دراسته وتجليته وعرضه بأساليب العصر بحيث يظهر أثره في مجرى الحضارة الانسانية ، وأن يبذل المزيد من الجهد في تهيئة واتاحة فرص التعليم الجامعي للفتاة السعودية بما يتلاءم مع فطرتها ودينها ، وبما يمكنها من تأدية دورها الكامل في المجتمع في اطار السياسة التعليمية في المملكة .

كما تطرقت التوصيات الى المناهج وطرق التعليم وضرورة الاهتمام بمقررات الدراسات الاسلامية والتاريخ ، وابراز البطولات الاسلامية ، اذكاء لروح الجهاد ، والعزة ، والفداء في نفوس الشباب السعودي ، ومراعاة المرونة في المناهج الجامعية في ضوء التقدم العلمي والتربوي المعاصر، وبذل المزيد من الجهد لتأكيد التعاون بين الجامعة وبين جهات التعليم الأخرى بالبلاد ، وتنمية قدرة الطالب على التفكير والاستقلال والاعتماد على النفس والابتكار وذلك بتكليف الطلاب اجراء البحوث الجمعية والفردية مع توفير وسائل البحث في المختبرات الجامعية ، واتباع طرق التدريس القائمة على الحوار والمناقشة ، والطلب من الجامعات اتمام

حر » أو « أبو قرن – Narwhal » . ويبلغ طول هـذا
جامعة الرياض .

تعريب المصطلحات والكتب الجامعية ، وبخاصة في مجال العلوم وتطبيقاتها بحيث تصبح العربية لغة التعليم في كافة كليات الجامعة ، وفي جميع المواد .

وفي مجال تنويع التعليم الجامعي ، نصت التوصيات على ضرورة تعدد الجامعات والكليات المتخصصة ، مع ضرورة الاهتمام بحاجات المجتمع في المملكة ومراعاة احتياجات المنطقة والبيئة التي تقوم فيها الجامعة أو الكلية بوجه خاص .

كما شملت التوصيات العناية بهيئات التدريس وبذل المزيد من العناية في اختيار أعضاء هيئة التدريس الجامعية ، واستقطاب العناصر الصالحة منها وبخاصة العناصر الاسلامية ، والتوسع في التعليم الجامعي ووضع خطة محكمة للتوسع وربط التعليم الجامعي بمتطلبات التنمية مستقبلا ، وأن تبادر الجامعة الى انشاء كليات جديدة تسد الحاجة الى التخصصات النادرة وغير المتوفرة ، وضرورة توسع الجامعات والكليات في قبول الطلاب وفق خطة مرسومة مع مراعاة طاقة هذه الكليات وامكاناتها ، وان تشمل المكافآت المالية طلاب جميع الكليات دون تمييز وذلك من أجل معاونة الطلاب على الاستقرار الضروري لمواصلة الدراسة ، مع توسع الجامعات في الدراسات العليا ، وان توفر الجامعة للطلاب مزيدا من الاعانات المالية والخدمات الفردية والاجتماعية كالارشاد النفسي والاشراف العلمي والتوجيه المهني .

وفي مجال العلاقات بين الجامعة والمجتمع ، أوصى المؤتمر بقيام تعاون وتنسيق شاملين بين هيئات المجتمع المختلفة والجامعة ، وأن تهتم المؤسسات الحكومية والأهلية اهتماما بالغا بتمويل البحوث التي تجري في الجامعة وذلك بهدف تنشيط البحوث الميدانية ، وان تستأنس هذه الهيئات والمؤسسات بمشورة الجامعة في حقل الاستشارات الخاصة ، وتشكيل لجان مشتركة من كليات الجامعة والجهات الحكومية والأهلية لتنشيط التفاعل بينها ولمواجهة المشكلات المشتركة ، وتوسع الجامعة في عقد حلقات تدريبية لموظفي الوزارات ، وافساح المجال للدراسات المسائية ، وأن تساعد الجامعة الجهات الحكومية والأهلية في التخطيط ، وذلك باجراء البحوث والدراسات اللازمة ، على ضوء الخطوط العريضة التي تضعها الهيئة المركزية للتخطيط ، والاستفادة من الخبرات الجامعية في مختلف الحقول والتخصصات ، النظرية والعملية .

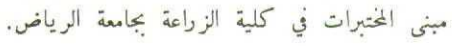
كما أوصى المؤتمر بأن تعقد الجامعة مؤتمرات علمية خاصة ، ومؤتمرات جامعية عامة ، ومؤتمرات عالمية يقصد منها تقديم فكرنا الاسلامي الى ذوي الفكر والاختصاص في العالم بغية اقناعهم أو تفنيد شبهاتهم . وفيما يختص بالمقررات الدراسية الاسلامية ، أوصى المؤتمر بأن تحقق دراسة التاريخ الاسلامي الارتباط الوثيق بتاريخ أمتنا ، وحضارة ديننا الاسلامي ، والافادة من سير أسلافنا ليكون ذلك نبراسا لنا في حاضرنا ومستقبلنا ، وان يدرس التاريخ دراسة منهجية مع استخلاص العبرة منه ، وان تكون الثقافة الاسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي ومراحله ، وان تنشأ دار للقرآن والسنة لمراجعة طبعات القرآن الكريم الحالية ، وأصول الطبعات الجديدة من المصحف الشريف ، ولتقديم معونات مالية لمن يطبعون القرآن الكريم والسنة النبوية تيسيرا لتداولها واقتنائها ، والعناية بدراسة التاريخ وتحقيق التراث والتعريف به وحفظه ، وان تقوم المكتبة الجامعية بجمع النسخ الخطية من التراث التي تستطيع جمعها وصيانتها وتصوير ما لا يمكن الحصول عليه من هذا التراث مما تضمه المكتبات الأجنبية .

أما فيما يختص بالتراث الفقهي الاسلامي ، فقد أوصى المؤتمر بأن تقوم الجامعات المعنية بالدراسات الفقهية بتدوين أحكام الفقه الاسلامي بأسلوب عصري ونشره ، وانشاء مركز للترجمة يتولى اعداد شباب يجيدون اللغة العربية واللغات الحية ، لترجمة نفائس الكتب من اللغة العربية واليها ، وان تقوم الجامعة بمسح أثري للأماكن الاسلامية واعداد خرائط تاريخية ، ولا سيما للعهد النبوي ، وعهد الخلفاء الراشدين ، وان تتوسع الجامعة في



جهاز خاص بمعرفة مدى قوة احتمال مواد البناء للضغط الواقع عليها ، وهو من الأجهزة المختلفة التي تستخدمها كلية الهندسة بجامعة الرياض في حقل التدريس .





مبنى المختبرات في كلية الزراعة بجامعة الرياض.



احدى حلقات الدراسة في كلية الزراعة .

قبول أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين عربا وغير عرب ، وأن تخصص الجامعة منحا دراسية لهم تتناسب مع امكاناتها ، وأن تنشيء المملكة مؤسسات تعليمية في البلاد الاسلامية الفقيرة ، وأن تولي الجامعة عناية خاصة بنوعية الطلاب المختارين للمنح الدراسية من حيث دينهم وأخلاقهم واستعدادهم العلمي . كذلك انشاء لجنة تكون مهمتها اصدار موسوعة اسلامية تتناول جميع العلوم الاسلامية بالتعريف والدراسة ، وان تتبنى الجامعة احياء مشروع « موسوعة الفقه الاسلامي » . وان تقوم الجامعة باعداد الدعاة على مستويات ثلاث ، دعاة لعامة الناس ، ودعاة للبلاد الاسلامية غير العربية ، ودعاة للمثقفين داخل البلاد الاسلامية وخارجها ، وان تتعاون الجامعات في المملكة على انشاء مركز عالمي للدراسات الاسلامية تتوافر له الامكانات البشرية والمادية اللازمة .

كما أوصى المؤتمر بوجوب الاهتمام بالدراسات الحربية ، ودراسة الغزوات والمعارك الاسلامية وأهم المواقع الحربية في تاريخ الاسلام كحرب التتار والحروب الصليبية ، وان تعنى الجامعة بالدراسات التي توفر القوى البشرية ، والفنية اللازمة لحاجات الجهاد الحربية ، كالتربية الحربية ، وهندسة الطيران ، واستخدام أجهزة الاتصال ، والمعدات الحربية ، وتأليف مجمع لغوي في المملكة يتعاون مع المجامع اللغوية الأخرى ، وان يكون هناك تعاون بين الجامعات ورابطة العالم الاسلامي ، في مجالي التخطيط للدعوة والعمل على نشرها .

وفيما يختص بشؤون التنمية البشرية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، أوصى المؤتمر بأن تنشأ كليات متوسطة ، مختلفة التخصصات ، مدة الدراسة فيها سنتان وتعطى الأولويات في اختيار المكان للمدن الصغيرة . وان تتعاون الجامعة ، مع الجامعات الأخرى المعنية بدراسة أسباب مشكلة التسرب وطرق علاجها ، وأن تقوم بدور ايجابي فعال في مكافحة الأمية ، وأن تتعاون مع وزارة المعارف والأجهزة الحكومية الأخرى في استغلال طاقات الشباب خلال العطل الصيفية في مجالات التنمية والخدمات الاجتماعية ، وأن تعقد ندوات علمية في حقلي الاقتصاد والادارة ، وأن تنظم دورات تدريبية قصيرة الأجل ، وأن تشترك مع فريق عمل يتكون من مندوبين من الجامعات الأخرى ووزارة المعارف ووزارة المالية ، وديوان الموظفين والهيئة المركزية للتخطيط لدراسة العوامل والمشاكل التي عاقت ولا زالت تعوق الجامعة عن تخريج العدد الكافي من الشباب لمقابلة احتياجات ومتطلبات التنمية التي تشهدها المملكة .

وفيما يختص بتنمية الموارد الزراعية والحيوانية والطبيعية ، أوصى المؤتمر بأن تتعاون الجامعة مع وزارة الزراعة في تأهيل الفنيين للنهوض بالثروة الزراعية والحيوانية وتثقيف البدو والمزارعين فيما يتعلق بطرق تنمية الموارد الرعوية الزراعة والحيوانية والمحافظة عليها ، وأن تقوم بالمساهمة في دراسة أفضل سبل الري والمحافظة على موارد المياه ، وأن تسهم مع الجهات المعنية بسن الأنظمة واللوائح اللازمة للحد من تلويث البيئة واهدار مواردها الطبيعية ، واجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالأعشاب وخاصة النباتات الطبية التي تنمو بكثرة في المملكة ، لاستخلاص العناصر الفعالة من هذه الأعشاب ودراسة تأثيراتها الطبية والفسيولوجية ، وأن تتعاون مع مؤسسة بترومين ووزارة البترول والثروة المعدنية في الأبحاث العلمية والحقلية الخاصة بالخامات المعدنية الموجودة في المملكة ، وتقويم التقارير المقدمة من الشركات الاستشارية وربطها علميا بعضها ببعض ، وأن تتعاون ومراكز البحوث والمؤسسات الحكومية في الوصول الى أفضل الطرق للاستفادة من الثروة البترولية ، واستخراج مشتقات البترول والاستفادة من الغازات ، وتشجيع البحوث والدراسات المتعلقة باستغلال الطاقة النووية والشمسية ، وبخاصة في مجالات توليد الكهرباء وتحلية المياه .

وفيما يختص بتنظيم خدمات على مستوى المملكة ، لخدمة البحث العلمي ، والتنسيق بين مراكز البحث ، أوصى المؤتمر بأن تنشأ هيئة مركزية على مستوى









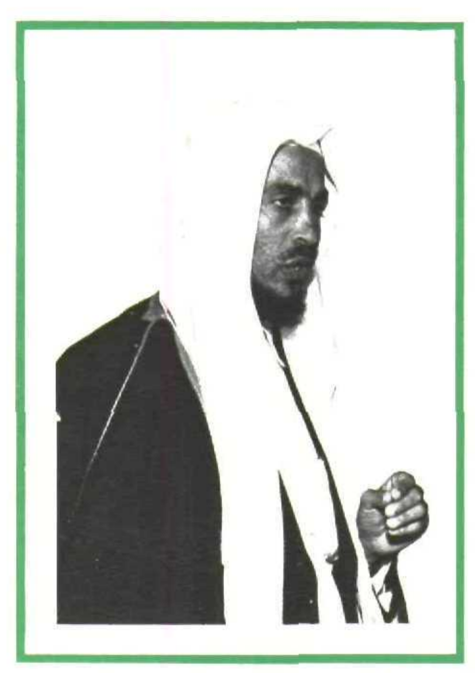
١ – مجموعة من الطيور والجوارح المحنطة التي تعيش في المملكة بالاضافة الى مجموعة من الحيوانات والزواحف المحنطة الصحراوية .
٢ – معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ يستمع الى شرح مفصل عن عمل أحد الأجهزة المعروضة في جناح كلية الملك فيصل الجوية .
٣ – حلقة الدعم المتبادل في احدى جلساتها تناقش مسألة التفاعل بين الجامعة والهيئات .
٤ – ضابط في سلاح الطيران الملكي السعودي يشرح لمجموعة من زوار جناح كلية الملك فيصل الجوية عمل أجهزة الطائرات المختلفة .
٥ – تمتلك كلية الهندسة جهازا لتبويب المعلومات «كمبيوتر» ويرى أعضاء حلقة التنمية والتطوير يستمعون الى شرح عن أهمية هذا الجهاز .

تصوير : شركة التصوير الوطنية

المملكة ، لوضع السياسة العامة لتنظيم البحوث وتمويلها وربطها بخطة التنمية بالدولة ، والتنسيق بين جهات البحث المختلفة ، والجهات المستفيدة منه ، كما أوصى المؤتمر بانشاء جمعيات علمية اسلامية وعقد مؤتمرات وندوات علمية في مجال العلوم والتقنية ، وانشاء معهد لتخريج الفنيين ذوي المهارة الجيدة القادرين على صيانة وتصنيع أجهزة البحث العلمي ، وانشاء مركز لصيانة هذه الأجهزة ، وانشاء مكتبة علمية مركزية ، تضم المراجع والدوريات التي يحتاجها الباحثون ، وايجاد نظام لتشجيع الأبحاث ، وانشاء وحدات للأبحاث المتخصصة في كل كلية من كليات الجامعات ويدعم الموجود منها حاليا .

كما شملت التوصيات تعزيز دور الجامعة في خدمة المجال العلمي للمجتمع وذلك بأن تحصر الامكانات العلمية المتوفرة في جامعات المملكة من كفاءات بشرية وامكانات معملية ، وان تشترك الجامعة في وضع المخططات العلمية والتقنية وخطط التنمية ، وأن تدعم البحوث المشتركة التي يقوم بها باحثون من الجامعة وأجهزة الدولة ، وأن تشارك الجامعة في تهيئة مناخ علمي وذلك عن طريق اصدار سلسلة من الكتب العلمية المبسطة ، واقامة متاحف للعلوم والتكنولوجيا ، والمساهمة في مناهج التعليم الثانوي والمتوسط ، وعقد دورات تنشيطية للخريجين ، وايجاد جهاز للخدمات الارشادية ، وان يكون منطلق تفكير العالم والباحث هو عقيدته الاسلامية ، التي تزخر بالحوافز والمشجعات على الدراسة ، والبحث ، والاستفادة مما يحويه القرآن من الدعوة الى استخدام المنهج التجريبي للبحث ، وان تشكل لجنة من الجامعات والقوات المسلحة ، لاستطلاع أوجه التعاون ومجالاته بين الطرفين .

كما أوصى المؤتمر بأن يوكل الى لجنة مؤلفة من الجامعات والجهات التعليمية المختصة في البلاد مراجعة الهيكل العام لنظام التعليم العام فنيا واداريا ، واقتراح التعديلات المناسبة ، وأن تتعاون الجامعات مع الجهات المسؤولة عن التعليم في ابتكار شتى الوسائل التي تضمن تنفيذ السياسة التعليمية المرسومة للمملكة على أفضل وجه ممكن ، وأن تسهم في وضع مناهج التعليم العام وتطويرها ، وأن تتعاون مع وزارة المعارف لجعل اللغة العربية مادة أساسية في المدارس الأجنبية بالمملكة وذلك



سعادة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي عميد كلية اللغة العربية بجامعة الامام محمد بن سعود يلقي كلمة المؤتمرين في حفل الاختتام .

رغبة في تعريف طلاب هذه المدارس بلغة المجتمع الذي يعيشون فيه وبتراثه .

كذلك أوصى المؤتمر بأن تهتم الجامعة والجهات المسؤولة عن التعليم بالبحوث التربوية والتجارب التعليمية التي تهدف الى الاستفادة من التقنية الحديثة للتعليم في أساليب الدراسة ، وأن تسهم مع الهيئات التعليمية الأخرى في انشاء مركز للبحوث والتنمية التربوية ، وأن تقوم كليات التربية في المملكة بمراجعة مناهجها ، وأن تلحق بكل كلية من كلياتها مدرسة تجريبية تضم أقساما للتعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، وأن تنظم دورات تدريبية خاصة بالبحث والتنمية التربوية للعاملين في ادارات البحوث التربوية في الجهات المشرفة على التعليم ولبعض المعلمين من ذوي الاستعداد والميل لمثل هذه الدراسات .

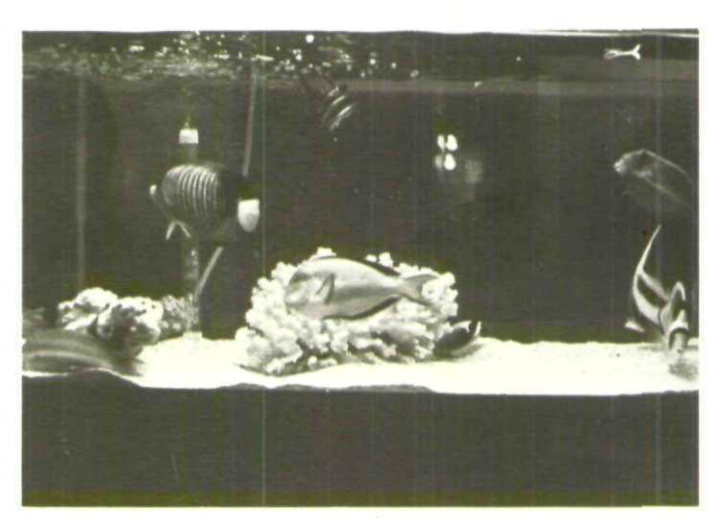
وفيما يختص بالمعلمين ، أوصى المؤتمر بأن تتوسع كليات اعداد المعلمين والمعلمات للمرحلتين المتوسطة والثانوية ، في قبول الحاصلين على شهادة معاهد المعلمين ، والمعلمات الثانوية وفق قواعد يتفق عليها مع الجهات التعليمية المختصة ، وأن تتوسع أيضا في تنظيم دورات تربوية تطويرية للمعلمين لرفع كفايتهم ، وأن تسهم في اعداد المتخصصين في مجال التعليم وتربية المعوقين بمختلف المستويات ، وأن يتم التنسيق بين الجامعة والجهات المختصة بتربية المعوقين وتعليمهم وتأهيلهم ورعايتهم لوضع خطة يتم على أساسها التدريب والابتعاث للتخصص في مجال المعوقين ، وأن تتعاون الجامعة مع الجهات التعليمية المختلفة في وضع توصيات المؤتمر الأول لاعداد المعلمين الذي عقد بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ موضع التنفيذ ، ومراجعة وتطوير أساليب التقويم المعمول بها حاليا في معاهد اعداد المعلمين والمعلمات ومراكز الدراسات التكميلية ، وكذلك في توجيه طلبة السنة النهائية بالمرحلة المتوسطة الى نوع الدراسة الثانوية المناسبة لقدراتهم واستعداداتهم ، وأن تتعاون كليات التربية مع الجهات التعليمية المختصة في تطوير أساليب جديدة لتقويم قدرات طلبة المدارس وطالباتها ، على أن توجه عناية خاصة الى تجريب هذه الأساليب للتأكد من مدى صلاحيتها .

وتحدث معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعات ، ورئيس المؤتمر في ختام أعمال المؤتمر قائلا : « ان التوصيات التي خرج بها هذا المؤتمر الذي تبنته جامعة الرياض لتعكس كل الجهود المخلصة التي بذلها المؤتمرون للحرص على تعاليم الله ، والوصول الى الأفضل ، وان الرجال الذين شاركوا في هذا المؤتمر كانوا يؤدون دورهم بأمانة » .

واسترسل معاليه قائلا : « وباسم جامعاتنا أقول لكل الحريصين والمتسائلين والمؤمنين أنها ستظل باذن الله القلاع الحصينة لدعوة التوحيد المخلصة والمنطلقات المشرقة للالتزام بآداب الاسلام وتعاليمه ، لأنها تدرك أن دورها ليس محصورا في امداد المجتمع بالكفاءات المؤهلة بوثائق مختومة دون أن يكونوا على صلة بدينهم واخلاص لرسالتهم ، وستنطلق في مجال البحث العلمي بكل ما تستطيع وهي في ذلك تمارس تنفيذا أمينا لرسالة الاسلام في الأرض التي تحترم العلم وتحتضنه وتشجع عليه . وان رسالة هذا الوطن الكريم في اقرار مبادىء العدالة والحق ، والانتصار لكل المثل ، والدعوة الى البناء الشامل لكل مرافق الحياة ، ومكافحة الالحاد ، وكل أنواع الشذوذ والانحرافات ، لن يؤديها على وجهها الأكمل باذن الله الا شباب هذه البلاد الذين يجب أن يتسلحوا في كل جامعاتهم ومعاهدهم بالايمان الصادق ، جنبا الى جنب مع كل المعارف والمهارات والعلوم . ولقد كانت الأيام الثلاثة التي انعقد فيها مؤتمرنا هذا ، تجربة



معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعات، وسمو الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة وزير التربية والتعليم في دولة البحرين الشقيقة والوفد المرافق له، في ندوة المؤتمر.



حوض مائي يضم مجموعة من الأسماك الغريبة التي تعيش في البحر الأحمر وهو من معروضات جامعة الملك عبد العزيز.



مجموعة من الطيور المحنطة التي تعيش في بيئات مختلفة في المملكة والتي تهاجر اليها في بعض فصول السنة طلبا للدفء.

رائعة في مدى انتصار الرغبة الصادقة في البحث عن الأفضل، والعمل الصادق على اكتشاف الحقيقة والعمل على اقرارها. وباسم كل جامعاتنا وجامعة الرياض على وجه الخصوص، أشكر كل من شارك في نجاح هذا المؤتمر وأدعو الله أن يعين كل المخلصين العاملين على تحقيق أهدافه وأن يحفظ لهذه الأمة دينها الذي ارتضاه لها، وقائدها الباني الذي أخلص وتفانى من أجل اسعادها والسلام عليكم».

وكان ختام الحفل كلمة موجزة من سعادة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي عميد كلية اللغة العربية بجامعة الامام محمد بن سعود نيابة عن المؤتمرين قال فيها: «باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فلقد استمعنا منذ ثلاثة أيام الى كلمة معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ في افتتاح هذا المؤتمر، استمعنا الى كلمة صفقت لها القلوب قبل أن تصفق لها الأيدي حينما قال بعد أن رسم الهدف لهذه الجامعات، من لا يلتقي معنا على هذا الهدف فله في عرض الدنيا وطولها متسع، لقد رسم الهدف لهذا المؤتمر وعشنا ثلاثة أيام اجتمع فيها أهل العلم في دار العلم. والواقع أنها بادرة من جامعة الرياض تذكر فتشكر. واذا كان لي من كلمة أسجلها فهي الشكر الجزيل للجهد الضخم المبذول في هذا المؤتمر وللروح التعاونية التي سادته حيث اجتمعت الوفود من جامعات المملكة بهذه المناسبة الكريمة ليتعارفوا وليتفاهموا وليتعاونوا ويدرسوا المشكلات التي تعترض هذه الجامعات. كما استمعنا الى التوصيات التي تعكس بحق وجهة نظر المؤتمرين بالدرجة الأولى ونحمد الله أن خرجت هذه التوصيات على المستوى الذي يرجوه كل غيور ويأمله كل مسلم. ومرة أخرى نيابة عن اخواني وزملائي المؤتمرين أكرر الشكر لمعالي وزير المعارف ومعالي مدير الجامعة ووكيلها وأمينها الذين يسروا مهمة هذا المؤتمر وبذلوا الشيء الكثير لانجاحه، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد أمثاله مرات ومرات ويجعل في هذه التوصيات الخير كل الخير».

وبعد.. فقد كانت تلك لمحة عن نشاط مؤتمر رسالة الجامعة، الذي أخذ على عاتقه تعريف رسالة الجامعة وتطويرها وفقا لما تقتضيه حاجة المملكة المتطورة حتى يتسنى لها بفضل هذه الصروح العلمية الرائدة، اللحاق بركب العلم الحضاري وتسنم المكانة اللائقة بها بين الأمم المتحضرة ■

اعداد: يعقوب سلام - هيئة التحرير

هَواجِسُ عشر الثمانين

للشاعر: علي جعفر الوهط



عشر الثمانين سيري بي الى الأربِ ... قُدْماً اذا شئت او سيري الى الأدبِ
فأيّ نفس نرى في عالم صَخِبٍ ... محدودب الظهر لا يألو من التعبِ
وان نسيتِ فلا تنسَيْ اخا كِبَرٍ ... الشيبُ لا العيبُ في الأصداغ شوّهَ بي
مقوّسُ الظهر ما إن يشتكي ألماً ... سوى الثمانين قد مرّتْ بذي حدبِ

* * *

وقد تذكرت أشبالاً وكنت بهم ... ما بينهم كغزال الرّبع في الهربِ
لا همّ لي بين احبابي ومنتجَعي ... سوى السّباحة والتحصيل واللّعبِ
وندوة دأبها الايقاع يرشدها ... فنّ الغناء الى الألحان والطربِ
ان جاد خلّ بشعر غير ممتنع ... سهل العبارة ، نشدوه بلا لَغَبِ

* * *

يا ايها الدهر ، رفقاً ، والحوادثُ لا ... تأتي على حسب الغايات بالطلبِ
زدني جوًى كلما ازداد الهوى صلفاً ... من لذة البُعد ، أبدلني عن الغضبِ
أرتاحُ في سهري ليلاً ولي أملٌ ... بأن أعافى من الأسقام والوصبِ
وأن أعود طريّ العود مائسَهُ ... غضّ الشباب سليم القلب والعصبِ
لقد تقدم في سير العلوم بنا ... فنّ الطبابة ، مختالاً على العطبِ
طب الجراحة والامعاء من نُطُسٍ ... به التخصص يعلو قمة الرتبِ

* * *

ويمتطي الجو من في غاية نزلت ... بسرعة البرق يخطو خطوة السحبِ
وقد توصل للأقمار شرذمةٌ ... مشياً على البدر او سَيْراً على الشهبِ
يسوءني أن قومي لم يكن بهمو ... مقدم بينهم للكشف ، مصطحب
لكنما العصر سمحاً لا يضن بما ... يوده الناس من عجم ومن عربِ

* * *

يا ايها الدهر والعربيد يرقبنا ... من مجهَرَ السخط او من مجهر العتبِ
مهلاً رعاك الحيا ، شأني وشأنك في ... هذي الحياة ، صراع الحب والنصَبِ
ذريعتي الأمنُ والايمان لا بَرِحا ... للرشد في كل ذي قلب وذي نسبِ

* * *

طبعي وميلي مع الأحداث منسجمٌ ... أعيذُها من بلاء الحرب والنكَبِ
مستنكراً من أخي الانسان لهفته ... ومستعيذاً بربي من ذوي الذّنَبِ
وليس أصْلَحُ في الايام من رجل ... يجود بالبذل والانفاق بالذهبِ
يريد خيراً لكل الناس مكرمة ... ويمقت البخل والارهاق بالرّهَبِ
وليس اصْلَحُ للانسان من عمل ... يفيد قاطبة الأحياء في رغبِ
تجارب الكهل قد صَحّتْ بمختبر ... انهى اليها نتاج العلم عقل ابي
فحيث صرنا نرى الانتاج من عجب ... وحيث درنا فسَيْرُ العلم في طربِ

علي جعفر الوهط – مكة المكرمة



الملحمة الشعبية العربية ومقوماتها

-٣-

بقلم: الأستاذ السيد أحمد أبو الفضل

شاهدان من الملاحم الشعبية

قبل ان نعرض لشاهدين عن نمطي السير الشعبية التي تصدر عن الوجدان الجمعي، النمطين اللذين يؤدي احدهما الشاعر ويؤدي الثاني المحدث. نرى انه من الضروري ان نتحدث عن اسلوب الملحمة الشعبية، سواء اكانت شعراً في اغلبها ام كانت نثراً. ونقصد بالاسلوب هنا الصياغة، أي صياغة العبارة. ولقد كان الجمهور الذي يتذوق هذه الملاحم الشعبية في المواسم واماكن التجمع يتصور ان المؤدين لها على قدر من العلم باالتاريخ والتفنن بالأدب، وكان ينتظر تبعاً لذلك اسلوباً ارقى من أسلوب الحياة اليومية باللهجات الدارجة على الألسنة، وكان يتصور فوق ذلك انه يفيد من هذه الملاحم نصيباً من العلم ونصيباً آخر من الخبرة. ومن هنا وجدنا اسلوب الملاحم في منزلة بين المنزلتين بين الفصيح وبين العامي. كانت عبارة الملاحم متفاصحة، وادى الاعتماد على الذاكرة الى خصائص ثابتة في الأسلوب، منها العبارات القصار التي يسهل حفظها، ومنها الصيغ التي تتكرر في المواقف المتشابهة، ومنها استعمال السجع الذي يعين هو الآخر على الحفظ. هذا في النثر الذي يوجد بين المقطعات الشعرية في الملاحم التي تقوم بالنظم مثل سيرة بني هلال كما المعنا الى ذلك من قبل.

أما المنظومات الشعرية فهي أقرب الى القصيد، الذي يعد قسماً رئيسياً من القريض. ولعل القصيد البدوي هو الذي نقل الى اللهجات الدارجة في الأرياف وبين عامة المدن. ونجد هذه الخصيصة واضحة تمام الوضوح في السيرة الهلالية بصفة خاصة، كما نجدها ظاهرة في سيرة عنترة بن شداد، وفي سيرة الزير سالم وما اليهما. ولكن هذا القصيد يلتزم وزناً واحداً ويقترب من المنافرة او المناقضة في الشعر الفصيح، فاذا كان الموقف يستوعب فارسين يتنافران او يتبارزان، فمن واجب الثاني ان يلتزم القالب نفسه والسياق نفسه والقافية نفسها، ويقع معظم الخلاف بين المقطعات على القافية لا على الوزن، ومثل هذه المقطعات ادخل في باب الحماسة اكثر منها في أي باب آخر وان لم تخل من مواقف عاطفية في بعض الأحيان، كما اننا نجد في تضاعيفها قدراً من التصوير.

والدارس للمدونات يلمح خللاً في الوزن وفي تركيب العبارة احياناً، والراجح من استقراء الاداء الحي ان الشاعر يتخلص من هذا الخلل بطريقته في الالقاء ليناً وامالة وترخيماً وحذفاً. اما المقطعات الشعرية في الملاحم الشعبية التي تقوم بالنثر فمختلفة جداً. انها توجد دائماً في المواقف الغنائية العاطفية، وفي مواقف ضرب المثل والاستشهاد بالحكمة وايراد الموعظة.. وما الى هذا بسبيل. وهي في معظمها مقطعات عامية وتختلف لهجاتها باختلاف البيئات التي تحفظها وتتذوقها وباختلاف الحلقات التي تتألف منها، مثال ذلك:

أولاً - سيرة الظاهر بيبرس

وهي تتألف من حلقات متعددة يمكن ان ترد كل حلقة منها الى بيئة معينة. فالحلقة الأولى اقرب الى التدوين، ويغلب على الظن انها نقول غير دقيقة عن نص مدون لتاريخ الدولة.. ولذلك كان اسلوبها اقرب الى الفصيح، وكانت المقطعات فيها نقولا ايضاً. وبعضها يمكن ان يرد الى اصحابه كما هو الحال في «الف ليلة وليلة». والحلقة الثانية: التي تتحدث عن الفداوية او الفدائيين شامية.. ومن هنا كانت لهجتها هي لهجة الشام بالمفهوم المتسع للاقليم، وكذلك مقطعاتها المنظومة. أما الحلقة الثالثة: فمطربة.. فيها اغان قصار ومواليا على الطريقة المصرية... وهكذا.

ثانياً - السيرة الهلالية

لا تتحدث عن بطل رئيس واحد كالزير سالم وعنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن، ولكن تتحدث عن قبيلة بأسرها، وهي ملحمة العرب القيسية، وليست ملحمة بني هلال وحدهم. كانت رياسة الجمع القيسي في احداث الملحمة لبني هلال. ومن هنا غلب



اسم هلال على هذا النص الأدبي ، وهي تتألف من ثلاث حلقات : الأولى تتحدث عن الآباء وتصورهم بما ينبغي ان يكون عليه هؤلاء الآباء في نظر مجتمع يصنف الأفراد والعلاقات على أساس النسب . ومع ان هؤلاء الآباء لم يكونوا الآباء على التحقيق لجميع أفراد الشعب الهلالي ومن انضوى تحت رايته، الا ان مشيخة القبيلة تعني في المقام الأول النهوض بالنسبة لكل فرد في المجتمع بمسؤولية الأب على التحقيق .

والحلقة الثانية ، تتحدث عن الأبناء ، وهم الأبطال الرئيسيون . وعددهم كبير في الملحمة، بيد ان من لهم الصدارة هم الحسن بن سرحان الذي تحول من رئيس المجتمع القبلي الى سلطان . وابو زيد الهلالي، وله اسماء متعددة منها : بركات ومنها مسعود لسمرة لونه ، ومنها مخيبر ، اي الذي اختبر الطرق او مخيمر . ومنهم ذياب بن غانم ، الذي تحول من فارس هلالي او قيسي الى فارس له مقومات فرسان عرب الجنوب، اذ يذكر في صفاته وانسابه انه حميري اي من حمير،واغلب الظن ان هذه الصفة جاءته عندما انتقلت الأحداث الى الشمال الأفريقي . ومن الشخصيات النسائية الجازية التي تعد الام المثالية والمرأة الأولى في المجتمع الهلالي .

وفي الموقف الآخر خليفة الزناتي. ويجب ان نلاحظ ان النسبة تسبق الاسم في الملحمة فيقال الزناتي خليفة وهذا يؤكد ان الصراع كان يصدر بالفعل عن عصبية جمعية . والسمات التي منحت للفرسان العرب انتقلت الى خصومهم مثل الزناتي خليفة . وتنقسم السيرة الهلالية الى: (أ): الريادة وهي التي راد فيها ابو زيد الهلالي الطريق الى بـــلاد المغرب او المغارب مع الفتيان الأوائل في القبيلة : محيي ومرعي ويونس .

(ب) التغريبة : وهي التي تحولت فيها القبيلة كلها الى ما يشبه الزهقة او الفزدة او الهجرة . . واول من تحدث عن هذه الملحمة هو المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون اذ رأى اعقاب الهلالية وذراريهم بنفسه في الشمال الأفريقي، وخالطهم وعاش معهم، وتحدث عن انسابهم وفروعهم في شيء من التفصيل ، ونقل مجموعة من قصائدهم ومقطعاتهم فيما نقل من نصوص باللهجات غير الفصحى . وتدل هذه النصوص التي نقلها ابن خلدون على ان الملحمة كانت ،مثل أكثر الملاحم في العالم ، مجموعة من الأناشيد، اي قصائد الحماسة والفخر في أول امرها قبل ان تتكامل على صورتها المعروفة . ومع ذلك فنحن نلمح فيما ذكره ابن خلدون من وقائع واوصاف ان الملحمة كانت في طريقها الى التكوين في أيامه . فقد ذكر حب الجازية لشكر الشريف، وقال انه حب يفوق حب ليلى للمجنون ، مع ان هذا الحب كان حباً زوجياً لا افلاطونياً عذرياً كما هو الشأن في القصص الغرامي الذي منه قصص المجنون .

اما سيرة الظاهر بيبرس، فتقوم ايضاً على مجموعة من الأبطال ، بيد ان البطل الرئيسي فيها هو محمود بيبرس: السلطان المملوكي الذي أكمل صنيع صلاح الدين في تحرير التراب العربي من الصليبيين ، كما انه هو الذي وقف أمام التتار وحمى الحضارة بصفة عامة من هذه الغزوة الساحقة، ولذلك انتخبه الشعب، كما قلنا ، وربط نسبه بالعرب، وهي تقوم على نزعة صوفية في حركة الأحداث اذ يكثر فيها الاعتماد على الأولياء كما تزخر بالخوارق وخاصة في حلقاتها المتأخرة، ولكن الملاحظ بالدرجة الأولى ان شخصية البطل كانت اوضح، وهو دور النشأة وبلوغ النضوج في طور دراسة المجتمع وممارسة الأعمال الادارية على اختلاف درجاتها، ومعارضة الظلم والجور مما كانت بعد انتهاء السلطان، اذ تحول الى مجرد علم يؤكد استعادة ثغر من الثغور او تطهير بقعة من البقاع او غزو مكان من الأماكن . واذا كان الأبطال الهلاليون يتوارثون الرياسة بحكم الوراثة العربية ، فان الابطال في ملحمة الظاهر بيبرس كانوا يتصارعون عندما يحس المجتمع بضعف الجيل القائم عن النهوض بتبعاته ، وفي ذلك شبه بما كان في الأساطير القديمة ■

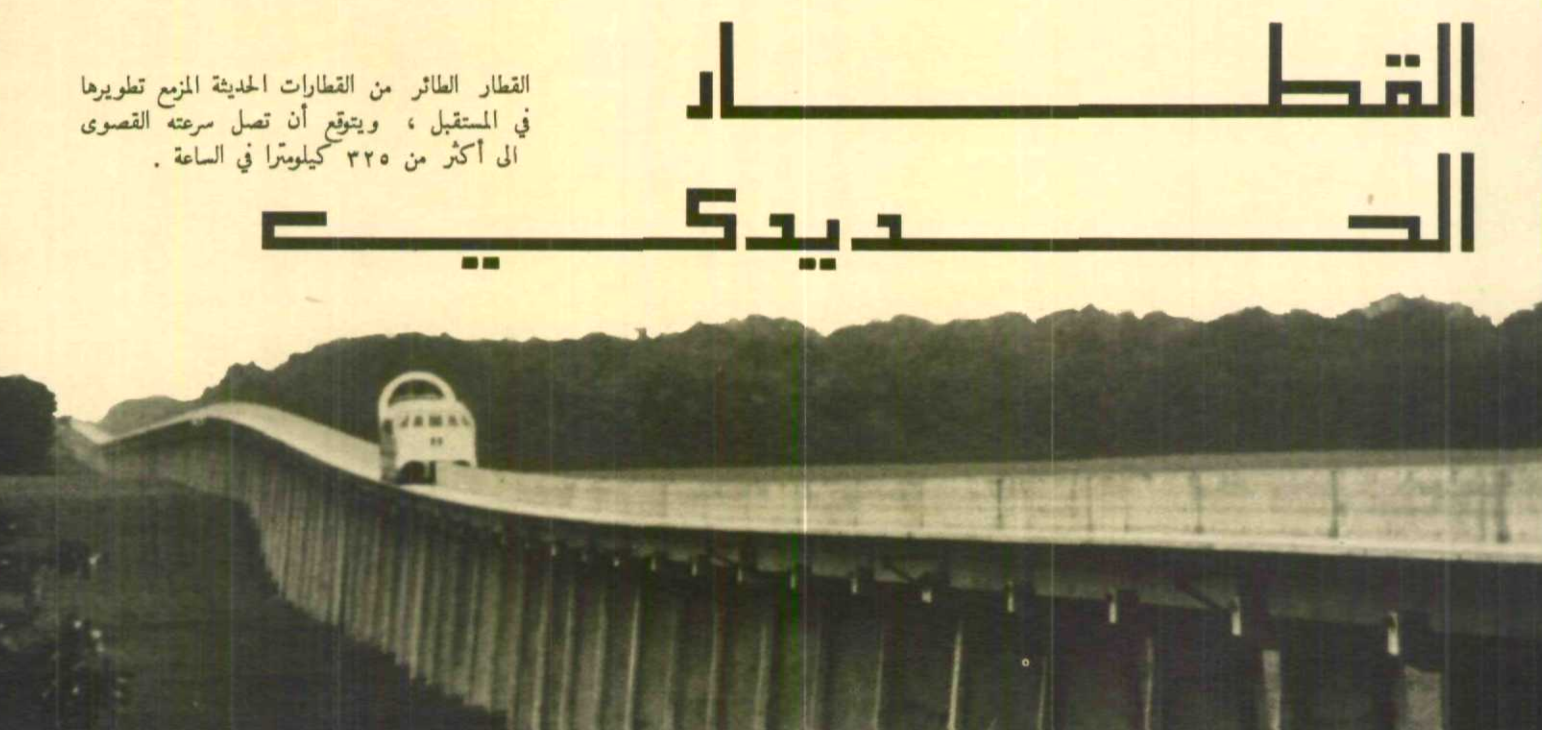
السيد احمد أبو الفضل – القاهرة

القطار الحديدي

تلعب وسائل النقل الحديثة دورا هاما في تقدم الأمم وتطورها وانمائها ماديا واقتصاديا وعلميا ، فهي بمثابة القلب النابض بالنسبة لتنقل الانسان من مدينة الى مدينة ومن بلد الى بلد، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع ما ينتجه من مواد صناعية وزراعية وتجارية . وقد تعددت أنواع هذه الوسائل البرية منها والبحرية والجوية حتى شملت عددا كبيرا ابتداء من الحيوانات فالعربات ، والدراجات والسيارات والقطارات ، والبواخر ، وأخيرا الطائرات الضخمة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت . وجميع وسائل النقل هذه تسهم اسهاما مباشرا في تقدم الأمم وازدهارها بفضل ما تؤديه من خدمات جلى في نقل الأفراد والمؤن والبضائع ، ومما لا شك فيه أن العامل الأول في الربط بين المدن وتسهيل عمليات النقل ، يعود الى القطارات التي استطاعت بفضل خطوطها الحديدية الثابتة أن تصل الى أماكن نائية لم يكن من السهل الوصول اليها ، وذلك قبل اكتشاف السيارات والطائرات . ورغم التطور الذي طرأ على وسائل النقل في هذا العصر فان القطارات ما تزال تلاقي اقبالا شديدا في كثير من بلدان العالم ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان التطور قد مد يده اليها فأدخلت عليها تحسينات عديدة من حيث الراحة والقوة والسرعة والأمان . ففي أمريكا مثلا ، أثبتت التجارب أن القطارات كانت وما تزال من أهم وسائل النقل خلال حقبة طويلة من الزمن . فمنذ عام ١٨٣٠ وحتى اليوم لا تزال القطارات تقوم بنقل الركاب والبضائع فوق خطوط حديدية طويلة تربط جميع الولايات المتحدة الأمريكية . وكانت القاطرات تسير في البداية على البخار اذ كان وقودها الحطب ثم تحولت مع الزمن منه الى الفحم الحجري، ومن المثير حقا أن الزينات والاحتفالات كانت تقام قديما في كل مناسبة لهذا الحصان الحديدي ، كما أن الفرق الموسيقية كانت تستقبله في كل محطة يتوقف فيها . وقد استقطب القطار أنظار عدد من الكتاب فأخذوا ينظمون في وصفه قصائد عديدة وألفت عنه روايات وقصص ما زال الخلف يرويها عن السلف .

لقد احتفظت بعض الشركات بعدد من تلك القاطرات التي كانت موضع اعتزاز وفخر لها ، ونحن ما زلنا نشاهد العديد منها في الأفلام السينمائية ، وهي تنفث دخانها وتطلق صفاراتها الحادة ، وقد أضحت ذكرى حية من ذكريات الماضي الجميلة .

ومع تطور الصناعات وظهور وقود جديد للقطارات ذلك هو الزيت فقد تحولت معظم القاطرات الحديدية من الفحم الى الديزل ، عام ١٩٥٠م نظراً لكونه اكثر فعالية وقوة وأقل تكلفة من الفحم . ويشير تاريخ شركة ستاندرد أوف كليفورنيا ، الذي يعود الى حوالي قرن من الزمن ، يشير الى ان الشركة كانت الممول الرئيسي لصناعة السكك الحديدية ببعض منتوجاتها من الزيت . وحتى قبل اختراع قاطرة الديزل كانت الشركة تزود القاطرات البخارية بنوع خاص من الوقود ، اما الآن فانها تزود القاطرات بوقود الديزل وزيوت التشحيم ومشتقاتها ومن الثابت أن ثلث شركات القطارات الرئيسية تستعمل الآن منتوجات الزيت ، وتبلغ أطوال خطوط هذه الشركات في أمريكا حوالي ٣٣٦٠٠٠ كيلومتر ، وبما ان القطارات اصبحت الآن مهمة جداً بالنسبة لوسائل النقل ، واصبحت محركاتها تعمل بالديزل ، فقد أخذت العلاقة بين شركات الزيت وشركات السكك الحديدية ، تزداد تطوراً يوماً بعد يوم ، وذلك بعد ان اعترفت شركات السكك الحديدية بميزات قاطرات الديزل وتفضيلها على قاطرات البخار . وتعتبر عربات القطارات الحالية من أحدث العربات الموجودة ، وتوليها الشركات كل أهمية وعناية ، وصيانة دقيقة في ورشها الخاصة التي تضم أنواعاً مختلفة من ورش صيانة العجلات ، وورش الدهان واللحام ، ومراكز الوقود ، ومختبرات التشحيم . أما عمال برج المراقبة فانهم يشرفون يومياً على تسيير عشرات القطارات ، ومئات العربات المشحونة بالسيارات والأطعمة المثلجة ، وانواع عديدة لا حصر لها من متطلبات الحياة العصرية . وتوجد لدى شركات السكك الحديدية عربات خاصة لنقل السيارات ، وعربات مكشوفة لنقل الشاحنات ومختلف أنواع



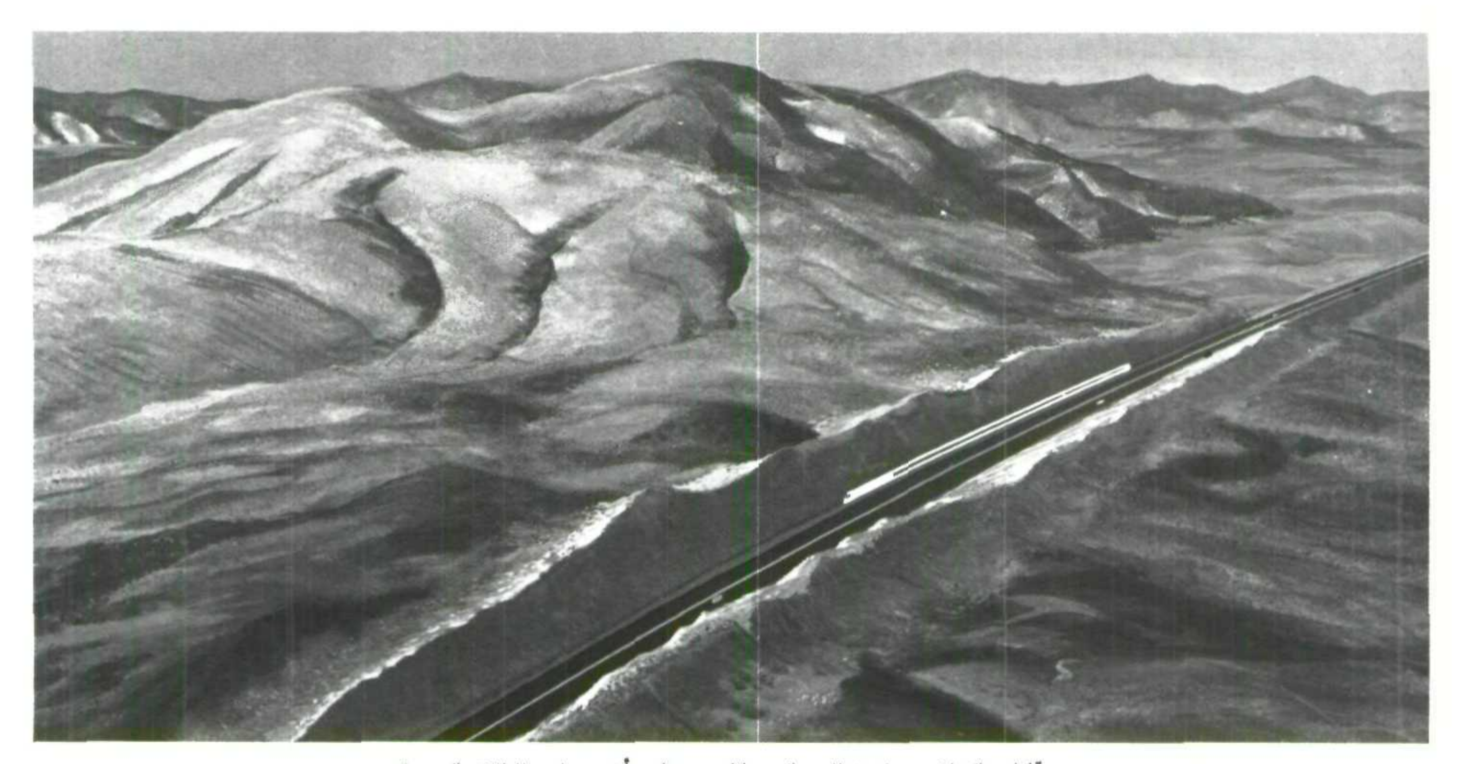
القطار الطائر من القطارات الحديثة المزمع تطويرها في المستقبل ، ويتوقع أن تصل سرعته القصوى الى أكثر من ٣٢٥ كيلومترا في الساعة .

البضائع . وبما أن تحركات القطارات تحتاج الى كميات كبيرة من الوقود وزيوت التشحيم ، فان شركات السكة الحديدية تعتبر أكبر زبون لدى شركات النفط ، كما أن القطارات قد ساعدت بشكل فعال شركات النفط في بناء مراكز هامة لتكرير الزيت . وقد ظهرت اهمية القطارات عندما قام أحدها بنقل أكبر حمولة عرفها العالم عام ١٩٦٣ ألا وهي المفاعل الذي بلغت زنته ١٣٠٠٠٠٠ رطل ، من مدينة «شتانوغا» في ولاية «تنسي» الى المصفاة الجديدة في مدينة «بسكاجولا» في ولاية ميسيسيبي . وتستهلك القطارات جالونا واحداً من زيت التشحيم مع كل مائة جالون من وقود الديزل ، ويظل مهندسو زيت الوقود وزيت التشحيم على اتصال دائم بالمختبرات حيث تجرى الفحوصات يوميا على تلك الزيوت . ومما لا شك فيه أن مستقبل السكك الحديدية يبدو مشجعا جدا من الوجهتين الفنية والاقتصادية . ويعتقد الخبراء أن عمليات النقل بالقطارات ستزداد كثيرا خلال السنوات المقبلة ، مما سيساعد على زيادة نمو شركات القطارات ، والتقدم كثيرا في هذا المجال من وسائل النقل ، ويعود الفضل في هذه الزيادة الى التطور الصناعي ، والمعدات الالكترونية ، والتحسينات التي أدخلت على القاطرات والعربات التي تتزايد يوما بعد يوم . ومن ذلك مثلا أن بعض عربات نقل السيارات قد صممت بشكل جديد بحيث يمكن شحن السيارة مثبتة على مقدمتها للاستفادة من أكبر حيز ممكن في العربة . كما زودت عربات التبريد بأجهزة آلية تحفظ البرودة على درجة ثابتة رغم تقلبات الجو المختلفة في الصيف والشتاء . وقد شملت هذه التحسينات ايضاً عربات نقل الركاب الحديثة الصنع والتي زودت بمكيفات الهواء والمقاعد الوثيرة ، والمطاعم الفخمة ، والمقصورات الخاصة وغرف النوم حتى ليخيل الى من يدخل هذه العربات لأول مرة بأنه داخل الى قاعة أحد الفنادق الفخمة او احدى صالات عرض المفروشات . كما ادخلت شركات النفط تحسينات هائلة على زيوت التشحيم ، ومن هذه التحسينات انتاج مادة خاصة ذات مفعول قوي يمنع حدوث أي انسداد في مجاري الزيت الموجودة داخل محركات الديزل . ومن بين الخطوط الحديدية الهامة في العالم العربي الخط العريض الذي يصل بين مدينتي طرابلس وبيروت في لبنان والذي انشيء عام ١٩٤٠ ، فقد مهد هذا الخط للقطارات مواصلة سيرها على خط موحد ، من مدينة حيدر باشا في تركيا حتى مدينة القاهرة في جمهورية مصر العربية ، مارة بحيفا واللد وغزة ورفح في فلسطين . وقد انشيء خط مماثل له في العراق يصل بين مدينتي حيدر باشا وبغداد . وبفضل المعديات التي اقيمت لنقل القطارات عبر مضيق البوسفور ، أصبح بامكان القطار أن يواصل سيره على خط موحد يمتد بين اسكتلندا ولندن حتى يصل الى القاهرة او بغداد وذلك بعد ان استأنفت المعديات عملها في نقل القطارات عبر القناة التي تفصل بين مدينتي دوفر ودنكرك .


نموذج لقطار سريع يجري العمل على تطويره في انجلترا .

القطار من وسائل النقل البري الرئيسية التي تسهم في نقل البضائع والركاب بين المنطقتين الشرقية والوسطى من المملكة العربية السعودية .





رسم تخيله الفنان يمثل قطار الغد الذي ينتظر أن يعمل بالطاقة النووية .

وقد أظهرت الحكومة التركية اهتماماً كبيراً في تطوير القطارات وزيادة عدد الخطوط الحديدية حتى بلغ مجموع أطوالها اكثر من ٧٤٧٥ كيلومتراً . وفي جمهورية مصر العربية توجد خطوط حديدية متفرعة تبلغ أطوالها حوالي ٦٤٠٠ كيلومتر منها ٩٧٢ كيلومتراً تصل بين قرى دلتا النيل . وأما الجزء الباقي فيمثل الخطوط الدولية الموحدة . ويعتبر خط سكة حديد الاسكندرية – القاهرة اول خط انشيء في القارة الأفريقية وقد بدأ العمل فيه عام ١٨٥٢م ، وكانت جميع القاطرات تعمل على الفحم الحجري ثم لم تلبث ان تحولت الى استخدام وقود الديزل نظراً لسرعة احتراقه وسهولة نقله وتخزينه وقلة تكاليفه .

وتنتشر القطارات في مختلف انحاء العالم ولا يكاد يخلو بلد واحد منها ، كما تنتشر شبكات الخطوط الحديدية فوق سطح الأرض كانتشار الشرايين في جسم الانسان بعضها متشابك والبعض الآخر متفرع كأغصان الشجر .

وتدل الاحصاءات التي جمعت عام ١٩٤٨ على أن أطوال شبكات الخطوط الحديدية في العالم تبلغ حوالي ١٢٤٩٥٥٩ كيلومتراً وهي موزعه كالتالي: امريكا الشمالية ٤٥٤٠٨٣ كيلومتراً ، أوروبا ٤٠٠٥٩٧ كيلومتراً، آسيا ١٥٢٩٤١ كيلومتراً ، امريكا الجنوبية ٩٩٠٩٩ كيلومتراً ، أفريقيا ٦٩٤٢٢ كيلومتراً ، استراليا ٥٠٤٦٢ كيلومتراً ، امريكا الوسطى ٢٩٣٤ كيلومتراً . ولكن بعد ذلك العام طرأ ازدياد كبير على أطوال هذه الخطوط في جميع انحاء العالم ، بعد أن انشئت خطوط جديدة في عدد من البلدان من بينها المملكة العربية السعودية حيث انشيء خط الدمام – الرياض الذي يربط بين قلب نجد والخليج العربي والذي شرع في انشائه عام ١٩٤٧م وافتتح رسمياً في ١٩ محرم ١٣٧١هـ الموافق ٢٠ اكتوبر ١٩٥١م . ويمر هذا الخط الذي يبلغ طوله ٥٧٧ كيلومتراً بالظهران والهفوف وحرض مجتازاً صحراء الصمّان الى الخرج ومنها الى الرياض ، وجميع القاطرات التي تسير على هذا الخط تعمل بوقود الديزل .

وبما ان مستقبل القطارات يبشر بالخير والازدهار ، فبامكاننا ان نقول أن هذا القطار ، الذي يسمونه الحصان الحديدي ، ما يزال يزداد قوة ونشاطاً ، لمكانته الطيبة في النقل اذ له الصدارة في وسائل النقل البري سواء من الناحية الاقتصادية او من ناحية راحة الركاب وسلامتهم ، والدليل على ذلك أن قاطرة واحدة تستطيع ان تجر وراءها عشرات العربات الكبيرة المحملة بآلاف الأطنان من البضائع المختلفة الأنواع والأحجام ، مما يجعل أجور النقل في القطارات أقل تكلفة من أية وسيلة نقل برية أخرى ، وهذه القطارات تسير فوق خطوط حديدية ثابتة مستقلة دون اية مزاحمة كما يحدث بين السيارات المختلفة الأحجام والأشكال . أمّا قطارات الركاب فان الاقبال عليها مطرد الزيادة لأسباب واضحة جلية يعرفها كل من ركب القطارات ، ومن هذه الأسباب فخامة عربات الركاب وما تحوية من مقاعد وثيرة ، ودقة مواعيد سفرها ، والأمان الذي يشعر به المسافر ، وحرية التحرك ، وسهولة التنقل بين المقاعد ومن عربة الى اخرى ، وتوفر الأطعمة والمرطبات وبعض المواد الضرورية التي يحتاج اليها المسافر . كما توجد في بعض القطارات غرف خاصة للعائلات وأسرة للنوم ، كل هذه الأشياء لا تتوفر في وسائل النقل البرية الأخرى مما تجعل الاقبال على ركوب القطارات شديداً ، وتجعل المسافر يفضلها على غيرها ، خصوصاً العائلات ، اذ تمر الساعات الطوال دونما يشعر احد بمرورها لما يتمتع به المسافر من راحة ومتعة وأمان ■

اعداد : زكريا خليل البنا – هيئة التحرير
عن مجلة « بوليتن »

اخبار الكتب

ما زالت اللغة العربية في حاجة الى مزيد من الموسوعات العامة المتخصصة التي تتناول ابواب المعارف المختلفة فتيسر على الباحث الاهتداء الى ضالته .

واحدث ما ظهر من الموسوعات العربية كتابان هما « الموسوعة القرآنية الميسرة » وقد اعدها في خمسة اجزاء الأستاذ ابراهيم الأبياري وصدرت عن مؤسسة سجل العرب ، و « موسوعة ذكر أخبار اصفهان » لأبي نعيم احمد بن عبدالله الأصفهاني وهي في جزءين وملحق وقد طبعت بطريقة الأوفست عن طبعة اوربا (لايدن) في مطابع مؤسسة انتشارات جهان بطهران .

* من أنفس الكتب التي صدرت اخيراً كتاب للمشرع الاسلامي الكبير الأستاذ عبد الحليم الجندي عنوانه «نحو تقنين جديد للمعاملات والعقوبات من الفقه الاسلامي » وهو بحث مقارن في سماحة الشريعة الاسلامية وأفضليتها في التطبيق على القوانين الموضوعة .

ومن الكتب الدينية الجديدة « السنة والعلم الحديث » للاستاذ عبد الرزاق نوفل ونشر دار الشعب ، « الصلاة : صحة ووقاية وعلاج » للدكتور محمد زكي سويدان نشر دار الهلال ، و « محمد الرسول الأعظم » للدكتور عبد العزيز محمد عزام، نشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، و « لمحات من الثقافة الاسلامية » للاستاذ عمر عودة الخطيب ونشر مؤسسة الرسالة ببيروت ، و « القيم الدينية والمجتمع » للاستاذ محمد كامل حتة ، ونشر دار المعارف في سلسلة « اقرأ » و « البدعة : تحديدها وموقف الاسلام منها » للدكتور عزت علي عيد عطية ونشر دار الكتب الحديثة ، و « الهدي النبوي » للدكتور عبدالله شحاتة ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

* في التراث صدرت طائفة من الكتب الجديدة منها : « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » لعبد الواحد المراكشي وتحقيق المرحوم الأستاذ محمد سعيد العريان ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « المنقولات العشر » لمحمد الحسني البليدي وتصحيح وتقديم الدكتور ممدوح حقي ونشر مكتب التعريب بالرباط ، و « شعر عبدالله بن الزبير الأسدي » تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و « الرد الوافر » للامام ابن ناصر الدين الدمشقي تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ونشر المكتب الاسلامي ببيروت ، و « الفاخر » لأبي الفضل بن سلمة بن عاصم تحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « الفتح على ابي الفتح » لمحمد بن احمد بن فورجة وتحقيق الأستاذ عبد الكريم الدجيلي ونشر وزارة الاعلام العراقية .

* مجموعة من الكتب التي تتناول الدراسات الأدبية صدرت اخيراً منها : « الزمن في الأدب » تأليف هانز ميرهوف وترجمة الدكتور سعيد روؤوف ومراجعة الأستاذ العوضي الوكيل ونشر مؤسسة سجل العرب ، و « المختار من أدب الرافعي » وهو مجموعة من الاثار الأدبية لمصطفى صادق الرافعي اختارها الأستاذ صدر الدين شرف الدين ونشرتها دار الكاتب العربي ، و « مستويات العربية المعاصرة في مصر » للدكتور السيد محمد بدوي ، و « نظرية الأدب » تأليف رينيه ويلبك وأستن وارين وترجمة الدكتور حسام الخطيب والأستاذ محيي الدين صبحي ونشر دمشق ، و « موالات بغدادية » جمع وتحقيق الأستاذ عامر رشيد السامرائي ونشر وزارة الاعلام العراقية .

* صدر كتاب ضخم عن رائد مذهب علم النفس التكاملي العلامة الراحل الدكتور يوسف مراد بعنوان « يوسف مراد والمذهب التكاملي » وقد أشرف على اعداد هذا السفر وقدم له الدكتور مجدي وهبه وصدر عن الهيئة المصرية .

* ومن كتب التراجم كتاب صدر للدكتور شكري عياد عنوانه « طاغور شاعر الحب والسلام » ونشرته الهيئة العامة .

* كما تصدر قريباً طبعة جديدة من كتاب للعلامة المشرع عبد الحليم الجندي عن اعلام المحامين في مصر والخارج ، يتناول فيه سيرة كل من ابراهيم الهلباوي ومصطفى مرعي ومارشال هول وهنري روبير ودفاعهم المجيد في أشهر قضايا القرن العشرين .

كما تطبع رسالة الماجستير التي وضعها الأستاذ محمد احمد العزب في موضوع « التراجم الغيرية » أي التراجم غير الذاتية .

* الأديب العراقي الأستاذ عبد الغني الملاح اصدر كتاباً يجمع بين الخواطر الجدية والفكاهية عنوانه « من كل بيدر حبة » قائلا انها فصول لأديب مهذار . وصدر هذا الكتاب عن مطبعة الحوادث ببغداد .

* في الأدب الروائي صدرت الكتب التالية : الحلقة الثانية من « الأعمال المختارة لموليير » وتتضمن خمس مسرحيات ترجمها الدكتور محمد القصاص وصدرت في سلسلة « من المسرح العالمي الكويتية» و « حكايات من عالم الحيوان » وهي مجموعة أقاصيص للاستاذ زهير الشايب نشرتها مجلة التحرير ، و « باب الفتوح » وهي رواية للأستاذ محمود دياب صدرت عن وزارة الاعلام العراقية ، و « البيات الشتوي » وهي رواية للأستاذ يوسف القعيد صدرت في سلسلة روايات الهلال ، و « العجوز » رواية لافتان القاسم صدرت عن وزارة الاعلام العراقية .

* كتب ذوات موضوعات متخصصة صدرت أخيراً منها « الاظهار المعماري » للاستاذ محمد احمد عبدالله نشر مكتبة الانجلو المصرية ، و « السيرنتيكا » وهو من ترجمة الدكتورين رمسيس شحاته واسحق ابراهيم حنا ونشر الهيئة المصرية ، و « مشكلة تضخم السكان » لهال هلمان وترجمة الأستاذ محمد بدر الدين خليل ونشر دار المعارف ، و « ارضنا وشمسنا ذرة في الكون » للاستاذ جمال الدين سليمان ونشر دار الكتاب الجديد ، و « اساطير العالم القديم » للدكتور صموئيل كريم وترجمة الدكتور احمد عبد الحميد يوسف ومراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ونشر الهيئة المصرية ، و « الأقمار الصناعية وسفن الفضاء » للمهندس الاستاذ سعد شعبان ونشر دار الفكر العربي ، و « المجتمع التكنولوجي الحديث » للدكتور حازم البيلاوي ونشر منشأة المعارف بالاسكندرية ، و « الطعام الرخيص هل انتهى عصره ؟ » للمهندس سيد مرعي ونشر دار المعارف في سلسلة اقرأ .

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفين، التاليين:

* الجزء الأول من كتاب « الشوارد » وقد جمعه الأستاذ الفاضل عبد الله بن محمد بن خميس، وتم طبعه على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ، أمير منطقة الرياض ، والكتاب حصيلة جيدة من الشوارد تصيدها المؤلف من أفواه الرواة ومن مظان الكتب وعني بها حتى اجتمعت لديه « حصيلة عمر ومجهود دهر» ، وقد حرص الأستاذ ابن خميس على أن يسند كل شارد الى قائله غير أنه لم يكن ذلك في الامكان كما يقول الأستاذ الأديب .. ويضم الكتاب بين دفتيه مجموعة من أبيات الشعر لنخبة من فحول الشعراء العرب ، مبتدئا من الألف حتى العين . وهو يقع في ٣٣٠ صفحة من الورق الأبيض الصقيل ومجلد تجليدا أنيقا ، وقد طبع باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

* « دليل كلية التربية » في جامعة الرياض ، وهو أول دليل تصدره كلية التربية في الجامعة منذ انشائها عام ١٣٨٦هـ ليكن مرشدا لأبناء المملكة ولغيرهم من الطلاب الذين يرغبون في الالتحاق بها . والدليل بمثابة صورة شاملة لنشأة الكلية وتطورها وأوجه نشاطها وكل ما يحتاج اليه الطالب الى معرفته من أهدافها وشروط القبول بها وأقسامها وتخصصاتها والدرجات العلمية والشهادات التي تمنحها ، كما يتضمن الدليل شرحا مفصلا لخطة الدراسة بها والمقررات الدراسية ونظام الامتحانات المتبعة لديها . وهو مزود ببعض الصور التي تعكس جانبا من نشاطات طلابها مع بيان بأسماء مبتعثيها وتاريخ ابتعاثهم وتخصصاتهم والجامعة التي يدرس فيها كل منهم . وقد طبع الدليل على المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ■

ابن دانيال
رائد المسرح العربي

بقلم: الأستاذ لطفي ملحس

يقول « ارسطو » ان الفن يقوم بعملية هامة جداً لحفظ توازن الانسان . . انه يتيح فرصة « التفريغ » . وهذا التعبير الذي أدخله أرسطو لأول مرة في تاريخ الفكر ، يعني ان المتأمل للعمل الفني يستطيع ان يفرغ شحنة انفعالاته ، وبالتالي يستطيع أن يتخلص منها . وهذه الفكرة لا تتحقق تحققاً تاماً وكاملاً الا في العمل المسرحي ، فتفريغ الانفعال يسهل عن طريق تقمص أشخاص المسرحية . وقد عرف اليونان المسرحية عندما قدم لهم « هوميروس » ملحمتيه : « الالياذة » و « الأوديسة » . أما العرب فقد بدأوا ممارسة هذا النوع من الفنون الأدبية على شكل روايات شعبية باسلوب مسجّع على الأغلب . وقد كانت تلك الروايات تصور البيئة العربية الاصيلة ، ولا أثر للاقتباس فيها من الغرب . ويعود الفضل في وضع نواة المسرح العربي الى « ابن دانيال » .

من هو « ابن دانيال » ؟

هو شمس الدين محمد بن دانيال ، من مواليد الموصل (عام ١٢٦٥م) . تلقى دروسه فيها ، ونزح مع من نزح من الديار العراقية هرباً من جحافل التتار والمغول . وقد ألقت المقادير به في الديار المصرية ، فسكن القاهرة أيام الملك الظاهر بيبرس . ومن صفاته انه كان حاضر النكتة والبديهة ، سليط اللسان ، لطيف المعشر ، ساخراً ، متهكماً . . وقد هيأت له ظروفه أن يقدم للمجتمع ما انعكس عليه منه ، من انفعالات نتيجة للاوضاع الاجتماعية التي كانت تسود ذاك المجتمع ، وما كان يجري فيه من غرائب المتناقضات والمفارقات .

مسرحيات « ابن دانيال »

لا شك ان العالم العربي لم يكن يعرف المسرح بالشكل الذي عرفه اليونانيون من قبل . الا أن هناك عدداً من مؤرخي المسرح الغربي يذكرون ان التشخيص او التمثيل العربي في بدايته وعلى أشكاله البسيطة لم يكن مقتبساً عن غير العرب . أما المسرحيات العربية التي جاءت على صورة روايات شعبية ، فان التاريخ لم يذكر لنا احداً ممن حاول تمثيلها سوى « ابن دانيال » . وكان يقال لتلك المسرحيات « بابات » ، وهي جمع « بابة » . وكما جاء في القاموس المحيط : « أبابة » ، في الحساب والحدود : الغاية والنهاية . . و « بابات » الكتاب : سطوره .

ومسرحيات ابن دانيال او « باباته » التي كان يذكرها بأسلوبه الفكاهي الساخر كانت تحكى من وراء شاشة بيضاء صغيرة يختفي وراءها المشخص ، ويقدم اشكالاً على هيئة أشخاص عملت من الجلد او الورق او الخشب ، ثم يأخذ في تحريكها على الصورة التي تناسب الحوار الذي يدور على ألسنة شخوصه ، وهذا هو ما يسمى « خيال الظل » . وقد كانت مسرحيات ابن دانيال هذه موضع دراسة بعض المستشرقين الألمان . . وهي ، مع كثرتها ، لم يبق منها في الوقت الحاضر سوى ثلاث : « خيال الظل ، وعجيب و غريب ، والمتيّم » ، وقد ألفها باللغة العربية الفصحى نظماً ونثراً ، وحاكى فيها الحريري في مقاماته .

البابة الأولى : خيال الظل

هذه التمثيلية او المسرحية جعلها ابن دانيال تدور حول أمير يسمى « وصال » طلب الى الخاطبة « أم رشيد » ان تختار له أمرأة يتزوجها . وقد جعل ابن دانيال الحوار بين الأمير وبين الخاطبة أم رشيد على هذه الصورة :

يا خالتي أم رشيد كيف نعم الله عليك . ولقد كنت ، قسماً بالله ، مشتاقاً اليك . وما طلبتك الا لتزوجيني ، والى غيرك لا تحوجيني وأريد هذه العروس ان تكون درية اللون ، ملفوفة البدن ، لا رقيقة ولا مفرطة في السمن ، أسيلة الخد ، مليحة القد .

فتقول له أم رشيد : يا ولدي ، عندي صبية ، كأنها الشمس المضية . فاذا وقع التراضي ، لا بد من الولي والقاضي .

ويفاجأ الأمير « وصال » ليلة الزفاف بأن عروسه من أكبر الدواهي . . بأنف كالجبل ، ومشافر كالجمل ، وأسنان كأسنان التمساح ، فيقبلها على مضض .

وفي هذه الصورة يقدم لنا ابن دانيال صورة شعبية ساخرة ، فيها وصف لحالة اجتماعية ،

تمثل الخاطبة وأفانينها ، وما يجري على لسانها من أقوال .

و « خيال الظل » كان من ملاهي القصور عند الفاطميين . وقد ذكر أن الملك الناصر صلاح الدين أراد أن يشهد هذه اللعبة ، ودعا الى شهودها القاضي الفاضل « عبد الرحيم البيساني » فتحرّج القاضي من ذلك ، وهم بالانصراف وقت الشروع في عرض المناظر . ولكن الملك الناصر قال له : اجلس وانظر ، فان كان حراماً امتنعنا من تكراره . فلما انتهت مناظر اللعبة . قال الملك للقاضي : كيف رأيت ؟ قال : رأيت موعظة عظيمة ، رأيت دولاً ، تمضي ، ودولاً تأتي ، واذا المحرك واحد ؟

وكذا كان خديوي مصر « توفيق باشا » يسره التفرج على خيال الظل . وكان السلطان سليم العثماني قد مثلت أمامه روايات شعبية بطريق خيال الظل فسر بها ، وعلى أثر ذلك أمر بنقل فرقة من أصحاب خيال الظل ليتفرج على التمثيل ابنه الذي عرف فيما بعد باسم السلطان سليمان « القانوني » . ومنذ ذلك الوقت نقل الأتراك خيال الظل الى بلادهم ، وانتشر عندهم وعرفوه باسم « قره كوز » ، المحرف عن الكلمتين التركيتين « قرة » ومعناها أسود و « كوز » ومعناه العين ، ومعنى الكلمتين معاً « العين السوداء » .

البابة الثانية : عجيب وغريب

اذا كانت كتب التاريخ يقتصر أكثرها على وصف احوال الملوك والحروب والوقائع ، فاني أرى أن أحوال الشعوب لا يمثلها أصدق تمثيل غير القصص والمسرحيات . وهذا ما نلمسه في مسرحيات أو « بابات » ابن دانيال . ومسرحيته « عجيب و غريب » تعطيك صورة صادقة عن أحوال الشعب المصري ، فقد تحدث فيها عن أصناف مختلفة من الناس . . تحدث عن سبعة وعشرين شخصاً ، منهم : الشحاذ ، والحاوي ، والمعاجيني ، والعشاب ، والمشعوذ ، والمنجم ، والسبّاع ، والفيّال ، وغيرهم . انه يقول في أول هذه « البابة » : « قد احببت امدادك ايها الأستاذ الظريف والماجن اللطيف ، بثانية ، لكيلا تظن همتي في الأدب متوانية ، وأتيتك بغريب ، وألحقتك بعجيب » .

ويقول على لسان بني ساسان (١) : « أين تلك الأيام وطيبها ، وحسن تلك الأوقات وعجيبها ، فرحم الله شيخنا ساسان . فقد كان انسان عين كل انسان ، قدوة الأدباء ، وأنيس الغرباء » .

وعلى لسان انماط أخر من البشر يقول الأبيات التالية :

أيـــن زمـــاني الـــذي تقضّى
وأيـــن جاهي وأيـــن مـــالي ؟ !
وأيـــن خفـــي وطيلسانـــي
وأيـــن قيلـــي وأيـــن قالـــي ؟ !
وأيـــن عيشي وأيـــن طيشي
وأيـــن حسني ، وحسن حالي ؟ !
ونحـــن في مجلس بـــديـــع
جـــلّ عـــن الوصف والمثال

البابة الثالثة « المتيّم »

وفي هذه المسرحية يمثل « ابن دانيال » أحوال المحبين في زمانه ، وكذلك يسرد بعض الأغاني والهزل في ذلك العهد . فيبدأ البابة بهذه الأبيات :

أهـــل الغـــرام تجمّعـــوا
وتـــوسلـــوا ، وتضرعـــوا
وخـــذوا حديث متـــيّم
عمـــن سواه ، أو دعـــوا
لـــم يبـــق الا أضلـــع
مـــن سقمـــه ، تتضعضع
وادى العقيـــق بجفنـــه
والـــدمـــع منـــه ينبع !

وبعد هذا يقول : أواه ، أواه ، وا أحباه . . واقلباه . . العاشق كل شيء يذكره . . لمعان البرق يؤرقه ، وهبوب الريح يقلقه ، واذا دنا الليل منه ، يهرب النوم عنه .

ويستمر في هذه البابة متنقلاً من منظر الى آخر ، فمن مهارشة الديكة الى مصارعة الثيران . . وكل ما يجري يكون على لسان المتيم المسكين .

من دعابات « ابن دانيال »

بعد أن نزح « ابن دانيال » من الموصل الى الديار المصرية ، وقبل ان يؤلف مسرحياته ، افتتح له دكاناً في القاهرة بالقرب من « باب الفتوح » ، واشتغل بعمل الكحل ومداواة العيون . وكان يستمد من عمله هذا الكثير من الدعابات والفكاهات . . ومن أقواله : انني آخذ القرش من عيون الناس ! وقد عرف ابن دانيال « بالكحّال » نسبة الى مهنته تلك . ومما يذكر عن سرعة خاطره ومداعباته ان الملك الأشرف كان قد اهدى اليه فرساً ليركبه اذا صعد الى القلعة للخدمة . ولم يكن الفرس على ما يريد ابن دانيال ، فركب حماراً أعرج وصعد الى القلعة . فلما رآه الملك الأشرف استدعاه ، وقال له : يا حكيم ، أما اعطيناك فرساً لتركبه ؟ فقال نعم ، بعته ، وزدت على ثمنه ، واشتريت هذا الحمار . فضحك الأشرف واعطاه غيره !

ابن دانيال يصف فقره وبؤسه

وهذا الرجل الذي ملأ القاهرة فكاهات رائعه وتمثيليات بارعة ، أرضت الشعب ، كما رضي عنها السلاطين والأمراء في ذلك العهد ، كان يعيش فقيراً بائساً . ويستنتج ذلك من خلال أقواله ودعاباته . . وانك لتلمس بوضوح ما كان يعانيه من سوء حال في أشعاره التالية :

أصبحت أفقر من يروح ويغتدي
ما في يدي من فاقة الا ، يـــدي
في منزل لم يحـــو غـــيري قاعـــداً
فـــاذا رقـــدت ، رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصـــيرة
ومخـــدة كانت لأم المهتـــدي
ملقى على طراحـــة في حشوهـــا
قمـــل كمثل السمسم المتبـــدد
والفأر يركض كالخيول تسابقت
مـــن كل جـــرداء الأديم وأجرد
هذا ، ولي ثـــوب تـــراه مرقعـــاً
من كل لـــون ، مثل ريش الهدهد !

وهذا ابن دانيال شأنه شأن الكثيرين من غيره من الأدباء ، يندب عقله وسوء حظه ، اذ يقول :

قد عقلنا ، والعقل اي وثـــاق
وصبرنـــا ، والصبـــر مـــر المذاق
كل من كان فاضلاً ، كان مثلي
فاضلاً عنـــد قسمـــة الارزاق !

أخيراً ، رحم الله « ابن دانيال » الذي برهن على أن المجتمع العربي قد عرف فن التمثيل في العصور الوسطى ، وان لغتنا العربية المعطاء تصلح لأن تكون لغة مسرح أيضاً . وأما تلك المسرحيات أو « البابات » التي كانت على أسلوب المقامات في جمل قصيرة مسجوعة وحافلة بالتوريات ، فهي ما كان يفتتن به الناس ويرونه اشهى ألوان الكتابـــة في ذلك الزمان ■

لطفي ملحس — عمان

---

(١) جاء في المحيط : بنو ساسان اسم يطلق على جماعة المشعوذين والشحاذين .

قصة

طواحين الهواء

للكاتب الفرنسي : الفونس دوديه
تعريب الأستاذ : فاضل السباعي

كان «فرانسيه ماميه» ، عازف المزمار ، المسنّ ، يزورني في بيتي بين الفينة والفينة ، حيث يمضي السهرة . وقد روى لي ، في احدى الأماسي ، قصة مؤثرة وقعت في ضيعتنا قبل بضعة وعشرين عاماً .

والحق ، لقد أحدثت قصة هذا الرجل الطيب في نفسي أثراً أجدني معه باذلاً جهدي في أن أرويها لكم على نحو ما سمعتها منه . فلتتصوروا ، لحظة ، قرائي الأعزاء ، أنكم جالسون أمام عازف مزمار طاعن في السن يحدثكم . . . فيقول :

لم تكن منطقتنا دائماً ، يا سيدي الكريم ، بالمكان الذي انعدمت فيه الحركة او غطّ في دنيا الخمول ، كما هو شأنها اليوم . فلقد قامت فيها ، في وقت خلا ، حركة ناشطة لطحن الحبوب ، حتى ان بعضهم ، ممن تبعد مزارعهم عن الضيعة فراسخ عشرة ، كانوا يقبلون علينا بقمحهم لطحنه . . . والتلال ، المحيطة بالضيعة تغطّيها طواحين الهواء . وما كانت العين لترى ، من فوق أشجار الصنوبر ، عن يمين ويسار ، الا المراوح تديرها ريح «الميسترال» الشمالية ، في حين كانت مجموعات صغار الحمير تغذّ السير ، على طول الطرقات ، صاعدة هابطة ، وهي محمّلة بالأكياس ، وكان يسرّنا أن نسمع ، طوال أيام الأسبوع ، فرقعة السياط وهي تلهب ظهور المطايا ، والحمّارون يحثّونها على الاسراع . وأيام الأحد كنا نمضي صعداً الى الطواحين جماعات ووحدانا . وهناك ، كان الطحانون يعملون ، بينما تبدو لنا زوجاتهم الحسناوات أشبه بملكات ، وقد أرخت كل منهن على كتفيها خماراً من «الدنتيلا» ، واخذن يساعدن ازواجهن . وكنت آتي بمزماري ، فتعقد حلقات الرقص الى أن يرخي الليل سدوله . قصارى القول : كانت تلك الطواحين تبعث فينا السرور وتؤمن لمنطقتنا من العيش رغداً .

على أن رجالاً من باريس تراءى لهم ان يقيموا — وأسفاه ! — مطحنة بخارية على طريق «تاراسكون» ، هتف الناس لمّا رأوها معجبين :

— يا لها من مطحنة ! كم هي جديدة !

لم يلبثوا أن اعتادوا ارسال قمحهم اليها ، فأضحت الطواحين الهوائية السيئة الطالع ، لا عمل لها . ولئن حاولت ، طوال فترة ، أن تقف على قدميها مكافحة في سبيل بقائها ، الا أن البخار كان أقوى منها ، فاضطرت الى ان تغلق أبوابها واحدة اثر أخرى . . . وهكذا لم تعد تشاهد الحمير الصغيرة في رواح ومجيء ، وباعت زوجات الطحانين الحسناوات حليهن ، وكف القوم عن الرقص جميعاً . . . وعبثاً كانت الريح الشمالية تهب ، فقد ظلّت المراوح ساكنة لا حراك فيها . وعمدوا ، ذات يوم ، الى ازالة هذه الأبنية المتداعية ، كي يفسحوا المجال لزراعة اغراس الكرمة والزيتون .

ولكن طاحونة واحدة ، بعد ذلك كله ، ظلّت ، في غمرة المحنة ، صامدة فوق مرتفعها ، تدور بعناد ، متحدية أصحاب المطحنة البخارية . تلك هي : طاحونة «المعلم كورني» ، الذي نحيي سهرة الليلة في الحديث عنه .

كان المعلم «كورني» طحاناً طاعناً في السن ، سلخ ستين عاماً من عمره وهو يعمل في مهنة الطحانة . وقد استشعر حنقاً مما آلت اليه الحال ، وأصابه ، بسبب اقامة المطاحن البخارية ، مس في عقله . فقد شوهد ، طوال ثمانية أيام ، وهو يعدو في طرقات الضيعة ، مجمّعاً الناس حوله ، معلناً بكل ما أوتي من قوة ، أن أصحاب المطحنة البخارية انما يريدون ان يسمّموا بطحينهم أهل مقاطعة «البروفانس» كلها ! ويهيب بالجموع حوله :

— اياكم ان تتوجهوا اليهم ، أولئك الأوغاد ، من أجل اعداد خبزكم . . . انهم يستخدمون البخار ، الذي هو بدعة من الشيطان . . . بينما أطحن أنا بفعل الرياح الشمالية ، التي هي من ربّ رحيم . . .

ثم يغدق على الطواحين الهوائية فيضاً من النعوت المستحبّة . ولكن أحداً لم يكن ليصغي اليه .

وهكذا قبع الشيخ في طاحونته ، يعيش وحيداً مثل وحش نافر جفول ، لا يرغب حتى في أن يبقي الى جانبه حفيدته «فيفيت» ، بنت الخمسة عشر ربيعاً ، التي لم يبق لها في الدنيا ، بعد موت والديها ، سوى جدّها ، مما ألجأها — هذه الصبية المسكينة — الى أن تكسب قوتها بعرق جبينها ، فتعمل حيثما اتفق لها : في خدمة البيوت ، وفي الحصاد ، وتربية دود القز ، وقطاف الزيتون .

ومهما يكن من أمر ، فقد بدا أن الجد يحب هذه الصبية حبّاً جماً . فكثيراً ما كان يقطع الفراسخ الأربعة سيراً على قدميه ، معرّضاً نفسه لأشعة الشمس المحرقة ، كي يلتقي بها حيث تعمل في المزارع . وحين يخلو اليها ، يمضي الساعات الطوال وهو يتملّى منها النظر وقد امتلأت عيناه بالدموع .

كان أهل الضيعة قد داخلهم ظنّ بأن الطحان الشيخ ، اذ تخلّى عن «فيفيت» ، انما كان ذلك منه بدافع من البخل والشحّ ، واذا كانوا قد رأوا أن مما لا يليق بشرفه أن يدع الصبية تتنقّل ، على هذا النحو ، من مزرعة الى أخرى ، متحمّلة فظاظة الخدم ، ومتعرّضة لجميع ألوان الشقاء الذي يلازم الفتيات الصغيرات في مثل هذه الحال . . . لقد كان الأدهى من ذلك ، أن يروا ان رجلاً له سمعة المعلم «كورني» — المحترم حتى ذلك الحين — قد أخذ يهيم في الطرقات كمتشرّد ، حافي القدمين ، وقد اعتمر طرطوراً مهترئاً ، والتف بثوب خلق ! والحق ، لقد كنا ، نحن الأكبر سناً ، نستشعر خجلاً لدى رؤيتنا اياه ، أيام الأحد ، عند دخوله الكنيسة ، لقد كان يستشفّ ما يعتمل في نفوسنا ، الى الحدّ الذي تعوزه معه الجرأة على أن يتقدم للجلوس في «المقاعد الخاصة» ، فيلتزم دائماً مكاناً في أقصى القاعة ، بالقرب من جرن الماء ، بين الفقراء والمساكين .

على ان شيئاً ما ، في حياة المعلم «كورني» ، ظل غامضاً مبهماً . فمع ان أحداً من أهل



الضيعة لم يعد يحمل اليه ، منذ زمن بعيد ، قمحاً ، الا ان مراوح طاحونته كانت تدور كسابق عهدها . وانّا لنرى ، في بعض الأمسيات الطحان الشيخ ، سارحاً في الطرقات ، وهو يسوق حماره العجوز وقد ناء بحمل كيس كبير من الطحين !

يبادره الفلاحون هاتفين :

– طاب مساؤك ، يا معلم «كورني». فأنت ما تزال تتابع الطحن ، اذن ؟

فيجيب الشيخ طلق المحيّا :

– دوماً ، يا أبنائي . الحمد لله . أنا لا أشكو قلّة العمل !

وحين يتساءلون مندهشين ، من أين يواتي بهذا القدر كله من العمل ؟ كان يرفع اصبعه الى شفتيه ويهمس بجدّية :

– هس ! أنا أعمل . . . للتصدير !

وما كان في وسعهم ان يجرّوه الى مزيد من كلام .

وأما أن يدّس احدنا أنفه في طاحونته ، فذلك ما لا يجوز أن يخطر على بال . وما كان للصبية «فيفيت» نفسها ، أن تطأ قدمها عتبة الطاحونة .

وعندما يمرّ امرؤ من أمام الطاحونة ، كان يرى الباب موصداً أبداً ، والمراوح الضخمة لا تكفّ عن الدوران ، والحمار العجوز في الفناء يرعى العشب ، وثمة ، على حافّة النافذة ، هرّ هرم ، هزيل ، يستدفىء الشمس ، وما ينفكّ يرمقك بنظرات ماكرة !

ذلك كله كان ينمّ عن أن في الأمر لغزاً ، حدا بالناس الى أن يلغطوا به . وأخذ كلّ يفسر ، على هواه ، سرّ المعلم كورني . ولكن الشائعة التي سادت كان مؤداها أن ما في تلك الطاحونة من أكياس نقود هو أكثر مما فيها من أكياس طحين !

ثم انجلى ، بمرور الأيام ، ما كان خافياً . فبينا أنا ذات يوم ، أرقّص الشباب على مزماري ، تبيّن لي أن ابني البكر والصبية

«فيفيت» يتشاوران في الزواج . وأعترف بأن ذلك لم يسخطني ، فمهما يكن من أمر ، فان اسم أسرة «كورني» كان موضع تقدير منّا . هذا الى أنه سيكون مبعث سرور لي أن أرى هذه العصفورة الصغيرة الجميلة، «فيفيت»، وهي تنطّ في بيتي . وشئت أن أرتّب الأمر في الحال ، فما كان مني الا ان صعدت الى الطاحونة لأفضي الى الجد بكلمتين .

آه ! يا للشيخ من مشعوذ !

لا بد من أن أبيّن الطريقة التي استقبلني بها . بدا أن من المستحيل اقناعه بأن يفتح مغاليق بابه ! أفصحت له ، عبر ثقب المفتاح وبقدر ما استطعت ، عما يدفعني الى زيارته . وخلال اللحظات التي رحت أخاطبه فيها ، كان ذلك الهر الهرم الهزيل اللعين ، ينفخ فوق رأسي مثل شيطان رجيم !

لم يفسح لي الشيخ مجالاً لأن أفرغ ما في جعبتي من كلام ، بل أهاب بي ، صارخاً بصورة مهينة ، أن من الخير لي أن أعود الى مزماري ، وأن في وسعي ، اذا كنت في استعجال من أمر تزويج ابني ، أن أبحث له عن فتاة في ... المطاحن البخارية ! ولك أن تتصور كيف استشطت غضباً وأنا أتلقّى منه هذه الكلمات الجوفاء . ولكن كان قد بقي لي ، مع ذلك ، من الرزانة ما جعلني قادراً على أن أتمالك زمام نفسي ، فما كان مني الا أن تركت هذا الشيخ المأفون لرحى طاحونته ، وقفلت راجعاً ، أنهي الى الشابين الصغيرين خيبة أملي !

يسع الحملين الوديعين أن يصدقا ، وتوسّلا اليّ أن أسمح لهما بأن يصعدا معاً الى الطاحونة ليناقشا الجد رأيه . ولم تكن لدي القدرة على رفض رجائهما ... وما هي الا هنيهة حتى انطلقا .

وما ان بلغا الطاحونة ، حتى كان المعلم كورني قد غادرها . وجدا الباب محكم الاغلاق . ولكن الأبله كان قد ترك ، في ذهابه ، سلّمه في الخارج . وسرعان ما راودت الولدين فكرة أن يتسلّلا الى الطاحونة عبر النافذة ، فيكحلا العيون قليلاً بما تحتويه هذه الطاحونة الذائعة الصيت !

يا للغرابة !

كانت حجرة الطحن خالية خاوية ، ليس فيها كيس واحد ، لا ولا حبة قمح ! ليس من ذرة دقيق عالقة بالجدران ، لم يشمّا حتى رائحة القمح المطحون ، تلك الرائحة العابقة الحارّة ، التي تنتشر في الطواحين ! وطبقة من الغبار تكسو « الجذع » الذي يدور في الطاحونة ، رقد فوقه الهر الهرم الهزيل !

وكان للحجرة السفلى ما لتلك من مظاهر الفاقة والاهمال : سرير متداع ، وأسمال رثة ، وفتات خبز مرمية على احدى درجات السلم . وفي زاوية ثلاثة أكياس أو أربعة ، ذوات ثقوب قد تساقطت منها ذرات من ... حجارة مطحونة وتراب حوّاري أبيض ! !

ههنا كان يكمن سرّ المعلم كورني !

فالحوّار الأبيض هو ما كان يطوف به ، في الطرقات كل مساء ، رغبة منه في انقاذ شرف الطاحونة ، موهماً الناس بأنه ما يزال يمارس أعمال الطحن فيها .

يا للطاحونة التعيسة !

ويا لكورني المسكين !

لقد سلبه أصحاب المطحنة البخارية ، منذ عهد بعيد ، آخر ما يمكن أن يؤديه من عمل . وعلى حين تواصل المراوح حركتها ، فان الرحى تدور على فراغ !

ارتدّ الفتيان ، ليحكيا ما شاهدت عيونهما ، وقد فاضت بالدموع ، تمزّق قلبي ، وأنا أصغي اليهما . فما كان مني الا أن عدوت الى جيرتي ، حريصاً على ألا أضيّع دقيقة من وقت ، أعلمهم الحقيقة بايجاز . فكان بيننا اتفاق على أن نحمل في الحال ، الى طاحونة المعلم «كورني» ، كل ما في بيوتنا من قمح . وسرعان ما قرنّا القول بالفعل ... فاذا الضيعة كلها تزحف الى الطريق ، في موكب من المطايا التي تنوء بما عليها من أكياس قمح ، قمح حقيقي ، هو ذاك !

الطاحونة قد فتحت على مصراعيها . وأمام الباب جلس المعلم «كورني» ، على كيس من الحوار الأبيض ، يبكي ، وقد دفن رأسه بين راحتيه . كان قد تبيّن لدى عودته ، أن طاحونته قد استبيحت في غيبته ، وأن سرّه الحزين قد افتضح .

كان يقول نادباً :

— يا لبؤسي وشقائي ! لم يبق لي ، الآن ، الا أن اقضي غمّاً ... لقد لطّخت الطاحونة بالعار !

ثم ينكفىء منتحباً ، على نحو يفتّت الأكباد ، وينادي طاحونته بأعذب الألفاظ ، مناجياً اياها كما لو أنها انسان ذو روح !

في هذه اللحظة ، وصلت الحمير المحمّلة الى الفناء . فما كان منّا الا أن أطلقنا جميعاً نداءنا المعتاد الذي طالما خاطبنا به الطحانين في سالف عزّهم :

— هيه ، يا أهل الطاحون ! ... يا معلم «كورني»! ...

وتكدّست ، أمام الباب ، أكياس القمح ، وفاضت الحبوب الرائعة ، الصهباء اللون ، على الأرض في كل الأرجاء ...

فتح المعلم «كورني» عينيه من دهشة ، وأخذ يحتفن من القمح براحته المتغضّنة ، وهو يضحك ، ويشهق باكياً ، في آن معاً ، ويقول :

— انه قمح ! ... يا آلهي ! انه قمح رائع ! دعوني اتمل منه النظر ! ثم أقبل علينا يقول :

— أجل ، كنت على ثقة من أنكم ستعودون اليّ . أصحاب المطحنة البخارية كلهم لصوص !

وأحببنا أن نمضي به في موكب يخترق الضيعة ، ولكنه اعتذر قائلاً :

— كلا ، يا ابنائي ، كلا ! يقتضيني الواجب ، قبل كل شيء ، أن أقدّم « وجبة » لطاحونتي ! تصوّروا كم مضى عليها من زمن دون ان تضع بين فكيّها شيئاً !

وفاضت عيوننا بالدمع ، ونحن ننظر الى الشيخ المسكين ، وقد انهمك يعمل بجدّ ، باعجاً الأكياس ، متابعاً بعينيه حجري الرحى ، والحب ينسحق بينهما ، وغبرة الدقيق الناعمة تتطاير حتى تبلغ السقف .

ومن الحق ان أعترف بأننا لم ندع ، بعد ذلك اليوم ، الطحان الشيخ ، من غير عمل ، قط .

ثم ان المعلم «كورني» قضى نحبه ذات صباح ، فسكنت مراوح آخر طواحيننا ، الى الأبد هذه المرة ، قضى «كورني» ، ولم يخلفه في الطاحونة احد .

وماذا تريد ، يا سيدي ، بعد ؟

لكل شيء ، في هذه الدنيا ، نهاية . ويتعين علينا التسليم بأن عهد طواحين الهواء قد مضى الى غير رجعة ، مثلما انقضى عهد تلك القوارب النهرية التي كانت تجرّها الخيول من على شاطىء « الرون » ، وكما ولّت بدعة تلك المعاطف التي كانت ترشق في عراها كبار الأزهار ■

فاضل السباعي — دمشق

منصور الأندلس

تأليف الأستاذ: علي أدهم
عرض وتعليق: الأستاذ أبوطالب زيّان

شاء حظي الجميل، أن أقرأ هذا الكتاب، الذي توافر على تأليفه والاعداد له، الاستاذ علي أدهم، ثلاث مرات، بحكم عملي بوزارة الثقافة، فقد كان هذا الكتاب النافع بين يديّ أصولا، ثم تجارب مرة تلو مرة، وفي كل ذلك، كان اتصالي بالمؤلف، يأخذ وجهة الاستفهام تارة، ويجنح الى مراجعة الحوادث تارة اخرى، ويحمل صيغ الاعجاب تارة ثالثة، لرجل وقف نفسه للتاريخ لتلك الحقبة المتداخلة في أحداثها وحوادثها وان كان يخرج في كل منها بشخصية عجيبة الملمس، قائمة بذاتها بما عملته ولعبته على مسرح السياسة آنذلك.

والأستاذ علي أدهم المشغول بهذا التاريخ الأدبي، والذي أصبح العلم االخفاق على ربوع الممالك الثلاث التي حكمها فرسانها: عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الناصر، والمنصور بن أبي عامر، لا يحب ان يثني عنان قلمه، أو يتقاعس أمام كل منهم، أو يفرّ من ميدان التاريخ، ما دام يؤمن بأن هؤلاء الحكام أبرز رجال الأندلس، أو أقدر من تمخض عنه القرن الرابع الهجري في نصفه الأخير.

على أن الذي طالع هذه الحلقة المتصلة لعلي أدهم، يرى كيف يسير المؤلف المشغوف بهذه السير العطرة.. فهو يوضح لماذا درس «المنصور» بعدما شغف به حباً، وفي الوقت نفسه، يخالف مذهب الذين يقولون بالابتعاد جهد الطاقة عن الوقوع تحت تأثير الشخصية الفذة، والوقوف تحت ظلالها، خشية التأثير، وخوف الافتتنان، ويرى: أن التأثر بالأشخاص الذين نحاول ان نترجم لهم ونتفهّم طبائعهم، مزية من المزايا، ولازمة من اللوازم، بل يريد: أن يبلغ هذا التأثير مداه وينتهي الى غايته، ليكون الدارس على وعي باستكناه البواعث، وعلم بنواحي الضعف والقوة، وقدرة على الفهم وتتابع المعرفة الصحيحة، وذلك في رأيي: اذا كان الكاتب مجرداً عن الهوى، غير مفتون بعظمة العظيم الذي ملك عليه أقطار نفسه، حتى جعله يعيش في حسناته، غير ملتفت الى اساءات هذه العظمة في تاريخها الطويل وهيهات..

ولقد عرض الأستاذ أدهم للعظمة، وحلّل مجراها بعد أن قسمها قسمين، وأخرج المنصور من كليهما، وأدخله في طرز رجال العمل والحركة، فهو أبعد ما يكون عن رجال الروح والفكر.. وان كنت أنا شخصياً، أدخله في جلّة مشاهير العالم وأعيان الانسانية، وهو أقرب ما يكون بأعماله من يوليوس قيصر، أو نابليون، بما فعله في الأندلس، وما لفت به الأنظار من انتصارات، وان أكد المؤلف: ان المنصور قد جاء في المرحلة الأخيرة من مراحل حضارة الأندلس، أو هو من الرجال الذين يظهرون غالباً في خاتمة عصر من أعصر الحضارات العربية: اذ «مثل هذا الرجل لا يخلق جديداً، ولا يبتكر شيئاً، وانما يتبع برنامجاً سياسياً، وينفّذ خطة عملية، ويحقق طموحاً ذاتياً..»

ومن الانصاف للمؤلف، ان دراسته للمنصور قد جاءت دراسة متأنية متمثلة في أن هذا الرجل كان بعمله، بأساليبه الملتوية، والاعيبه السياسية، وزخرفة جرائمه، كما كان رجلاً: شديد الشعور بالعدالة، متوخياً المصلحة العامة...

وفي الوقت نفسه، دافع الأستاذ أدهم، عن المنصور وسياسته، دفاعاً حاراً، وبخاصة عن خداعه الذي عرف عنه، وأصبح عنواناً على شخصه...

يقول الأستاذ أدهم: «ان المنصور لم يكن يصطنع الخداع حباً للخداع في ذاته، ولذلك لم يكن دائم الخداع، وان الذين خدعهم المنصور وغرر بهم، كان مستقبله السياسي يتطلب ذلك منه، وان كان المخدوعون لا يتنبهون لخديعة المنصور، الا بعد فوات الأوان.»

والخط الذي سار عليه المؤلف في هذا الكتاب، خط واضح، ونهج مستقيم. ذلك: أنه أباح لنفسه تفصيل المواقف وتلوينها بما لا يخرجها عن طبيعتها ولا يجردها من جوهرها، مسنوداً الى اوثق المصادر، معنياً بتفسير الحوادث وتمحيصها، ضارباً بالعرض الروائي عرض الحائط، اذ أن جنوح المؤرخ الى التغلغل في مسارب النفوس، واستكناه دواخل العقول، يكلفه ما يبهظ من الأعباء، فيكون عرضة للمزالق، أو غير مأمون العثرات.

ولهذا فقد كان الأستاذ أدهم، وهو يمتطي صهوة جواد المنصور، انما يبحث عن القوة التي تعينه على بحث أسبابها، واستيفاء عناصرها، اذ هي لا تنال باللهو والعبث، بل ينالها من يقدم لها فروضها ويوفي لها حقوقها.. فكان المنصور، في رأي المؤلف، كلما عظم نصيبه من القوة، كثر همه، وارتفع الى مستوى ما يحمل من تبعة بالصبر والمثابرة...

والعرض الشائق الذي ارتضاه المؤلف لنشأة المنصور، انما يحمل في طياته زخرفة الروائي التي أضرب عنها صفحاً في بعض أبواب الكتاب.. لكني أقول: انه من الحتم على كل مؤرخ أن يمسك في يده بقلمين: قلم المؤرخ، وريشة الروائي، اذ لا يستقيم

عمل المؤرخ الأدبي ، لا سيما ذلك الذي يرتضي لنفسه صوغ الأحداث مجردة ، الا اذا ألبسها الزخرف الذي يلفت اليها الأنظار ، أو يجعلها مساغة لمن نظر فيها ، أو وقعت عينه عليها ، وهذا العمل أشبه ما يكون بمحال الأزياء ، ان جاز هذا التشبيه ، يجب ان تكون الزخرفة عنواناً على جودة الصنف ، والا انصرف المشترون عن ابتياع ما هو معروض ، اذ لا تكفي الجودة وحدها أو الزخرفة نفسها ، ما دام « المحل » يحرص على رضى « زبائنه » !

والقصة التي سيقت عن المنصور في نشأته، تنضح بالعرض الروائي ، وتتضمخ بعطره ، وبخاصة والمؤلف يسردها في هذا القالب . اذ القصة بدون هذا العرض تكون مبتورة أو مشوشة ، فالمنصور قد وزّع مناصب الدولة على رفاقه في الجامعة ، وهو طالب ، وأعطى التمنيات حتى الى الذين قد أنكروها عليه . . ! !

وتغلغل الأستاذ أدهم في حكم الخليفة : عبد الرحمن الناصر ، فأبان ما فعله ، وعجز غيره عنه ، وكشف عن حكم ابنه « الحكم المستنصر » والسيدة « صبح » وابنها هشام ، وظهور المنصور في تلك الحقبة بحيله البارعة ، وأسلوبه الفذ في امتلاك القلوب ، والسيطرة على النفوس ، وأفانينه في اخلاء الطريق أمامه ، حتى يصفو له الجو ، ويحكم دون منازع ، وان اضطر الى حوك الدسائس ، والوقيعة بمن يقف في سبيل أطماعه الكبيرة المتشعبة ، وبخاصة اولئك الذين كانوا يشيعون عنه قالة السوء ، وأوغرت صدورهم حقداً عليه ونيلا منه ..

ولقد قال المؤلف كلمته في السنوات الأخيرة لحكم المنصور ، وما كان يتعرض له من زعماء « زناته » وما كان من أمر الدسائس والمؤامرات التي تحاك من حواليه ، ويصمد لها ، ويقضي بحيله على الاعيبها بحكمة وحذر .

لكن هل حقق المنصور أمانيه العراض ، أم وقفت به تلك الأماني عند حد لا يتعداه . . ؟ الحق : ان المنصور لم يحقق ما كان يصبو اليه ، ويتطلع له ، فقد أخذ الضعف يدب في بنيته الوثيقة وبدأت العلة التي حار في تشخيصها الأطباء ، تشغل باله ، وتقلق خاطره ، قبل أن يوطد دعائم الملك ، وان كان هو يعلم الحقيقة التي قضت على تلك الآمال .. فقد أضعف الخلافة باغتصابه لسلطان الخليفة ، وأذهب هيبتها ، ولم يستطع برغم ذلك : أن ينيل أولاده حقاً باقياً . . .

وعقد المؤلف فصلاً مطولاً عن « المنصور والأدب والفن » ، جمع فيه جل المناظرات والمفاخرات التي وقعت تحت سمع المنصور وبصره ، وما كان فيها من منافسات بين الأدباء وملاحقات بين الشعراء ، وحبه للكتب ، ومنحه الهبات لكثير من الأدباء والعلماء .

وصدق الأستاذ علي أدهم ، حين وضع المنصور بين يديه وقال فيه : « انه رجل عمل من فرعه الى قدمه ، لا يفكر في المبدأ والمصير ، ولا كيف جاء الى هذه الدنيا الحافلة بالعجائب والغرائب .. » « وخير علاج لكل مشكلة عنده ، هـو العمل والحركة والنشاط » « وكان جسمه خاضعاً لعقله ، ولذاته وشهواته خاضعة لطموحه » .

« ولا عجب ان كانت تلتقي في هذه الشخصية العجيبة النادرة المثال عوامل الخير ، ونوازع الشر ، وتمتزج امتزاجاً محيراً » .

على اني لا أتفق مع المؤلف ، في ملامته للمنصور ، ومن جرى جريه في سبيل الوصول الى المجد ، فقد عاب عليه ، انه ارتكب بعض الجرائم التي تثلم المروءة ، وتطفيء من لمعان الشهرة ، الا انني أقول : ان المنصور كان يضطر الى هذا الطريق اضطراراً ، لا سيما وانه كان يمثل دوراً من أهم أدوار البطولة ، تحفه العقبات ، وتثلمه المنازعات ، وربما كادت تودي به المنافسات والأحقاد ، وبخاصة اذا كان رجلاً كالمنصور ، « قد خرج من أكنان الخمول ، وزوايا النسيان ، الى ضواحي النباهة ومدارج العظمة » ! !

ومن ذا الذي يعلو على الأمجاد دون ارتكاب أخطاء ، وان كانت أخطاء يسوغها الحال ، ويفرضها الزمن ... والمنصور في حد ذاته ، كان لا يلجأ الى هذه الأخطاء ، حين لا يجد مفراً من ارتكابها في سبيل الحفاظ على نفسه اولا ، وعلى الدولة التي وطد لها ثانياً ، ومع كل هذا ، فقد « كان المنصور ، في غير ما يتصل بسياسة دولته ، وتثبيت سلطانه صديقاً وفياً ، ورجلاً نجداً مخلصاً ، مقدراً لواجبه وتبعاته » !

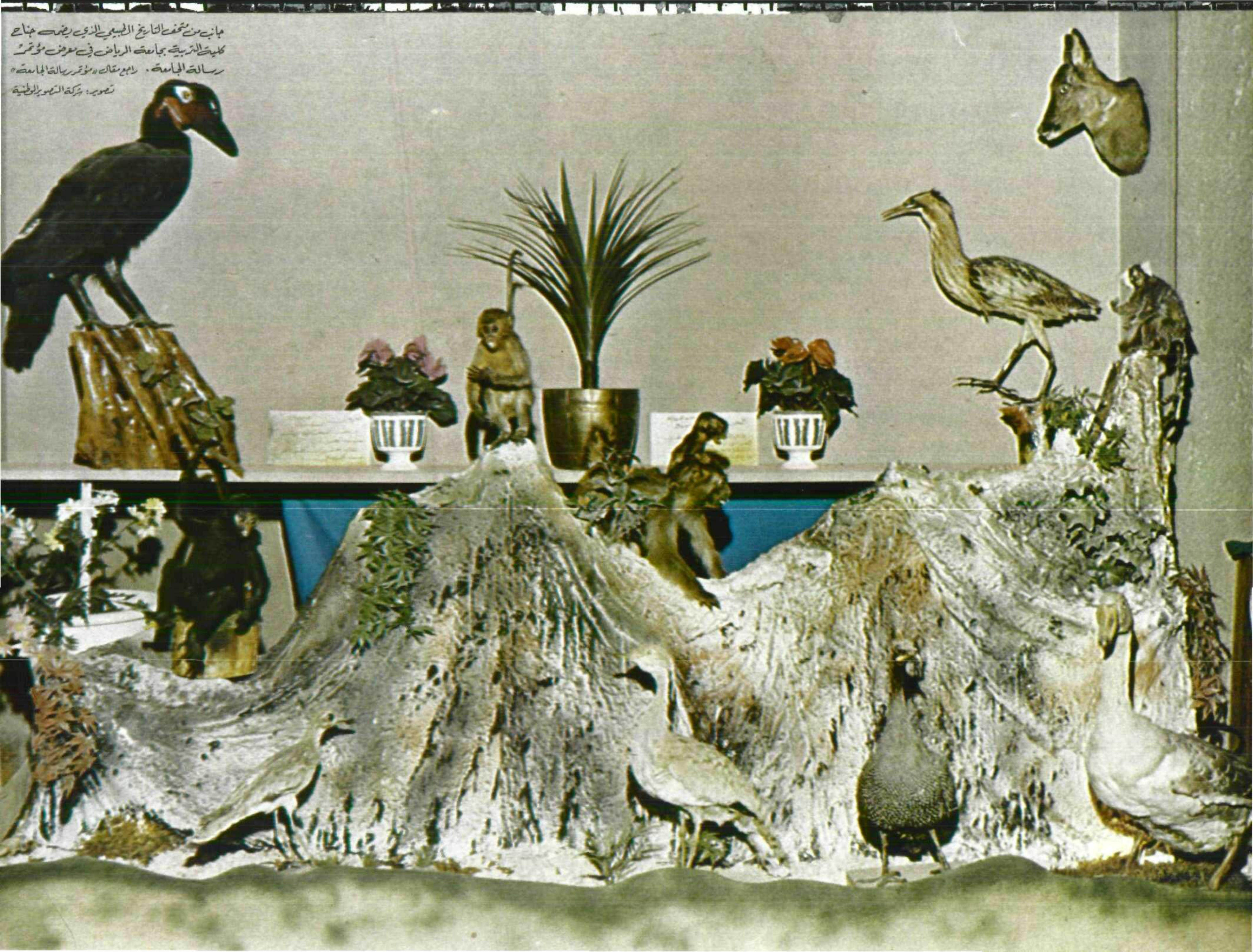
والنصفة للاستاذ علي أدهم ، انه غالباً ما يدلنا على ما يرجع اليه من ثبت أمهات الكتب ، وهي فضلة نلمسها فيه ، ونعرفها عنه ، وهو فوق ذلك ، كثيراً ما يصيبه التوفيق في كل دراساته التاريخية الأدبية ، التي انفرد بها على كثير من الأدباء الذين يسيرون سيره ، ويتجهون اتجاهه .

وعلي أدهم ، هو هو ، في كل مراحل حياته الثقافية ، مجدد اسلوب ، مبتكر عبارة ، متمكن مادة . . . وكتابه « المنصور بن أبي عامر » عنوان علمه ، وراية أدبه ، وان كان غيره مما سبقه من الكتب ، ينطق بالشهادة لهذا الأستاذ الكبير . . . ■

أبو طالب زيان – القاهرة



القطارات من الوسائل الحديثة التي تسهم في إنماء
حركة نقل الركّاب والبضائع في مختلف أقطار العالم.
راجع مقال «القطار الحديدي»   تصوير: بولتن



جانب من متحف التاريخ الطبيعي الذي يضم جناح
كلية التربية بجامعة الرياض في معرض مؤتمر
رسالة الجامعة. راجع مقال «مؤتمر رسالة الجامعة»
تصوير: شركة التصوير الوطنية